BOBST LIBRARY
3 1142 02820 9594

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

UAR - 8470. al-Dūrī,

جمعية
ح والكتاب العراقيين

تفسير التأريخ

الدكتور عبد العزيز الدوري الدكتور صالح احمد العلي
الدكتور جعفر خصباك الدكتور ياسين عبد الكريم

منشورات مكتبة النهضة ـ بغداد

جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

al-Dūrī, ʿAbd al-ʿAzīz

تفسير التاريخ

Tafsīr al-tarikh

تاليف

الدكتور
عبدالعزيز الدوري

الدكتور
صالح احمد العلي

الدكتور
ياسين عبدالكريم

الدكتور
جعفر حسين خصباك

منشورات
مكتبة النهضة ـ بغداد

مطبعة الارشاد ـ بغداد

Near East

D
16
.8
.D87
c.1

التاريخ والحاضر

الدكتور عبدالعزيز الدورى

١ – ان موضوع التاريخ موضوع حي ، ولذا ينتظر ان تختلف الآراء حول مفهومه واسلوب كتابته وتفسيره • وهو موضوع يتصل بصورة وثيقة بالاتجاهات الفكرية وبالتطورات العامة ، فيتأثر بها وقد يكون له اثره في بعضها •

ومن هنا تباينت الاتجاهات في تعريف التاريخ • فهناك من يراه البحث عن الحقائق الثابتة وتدوينها ، وهي نظرة تغلب في القرن التاسع عشر • وهناك من يعتبره تفسير الحقائق وربطها ، فالمؤرخ يختار الحقائق ، او بالاحرى يبحث عن حقائق معينة ويجمعها ، وهذه هي مادته الاولية ، ثم يكسبها مفهومها التاريخي ، وفي الحالين يكون المؤرخ محور الموضوع • وبهذا المعنى قال كروچه «التاريخ كله تاريخ معاصر» ويعني بذلك ان التاريخ يتكون في الاساس من رؤية الماضى بمنظار الحاضر وفي ضوء مشاكله ، وان عمل المؤرخ الرئيس لن يكون التسجيل بل التقدير • لذا ففهم أي تاريخ يتطلب فهم المؤرخ واتجاهاته ونظراته •

وهناك من يؤكد الصلة بين المؤرخ وحقائق التاريخ ، فالمؤرخ دون حقائق لا جذور له والحقائق دون مؤرخ مجردة من الحياة والمعنى • فالتاريخ هو عملية متصلة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه او « حوار متصل بين الماضى والحاضر » •

ان تعريف التاريخ في العصر الحديث وكذا تفسيره يتصل

بتطور المجتمعات الغربية • ففي العصر الوسيط سيطرت الكنيسة وساد الاتجاه الديني ، واعصب التفسير على أثر المشيئة الالهية •

وفي عصر النهضة ، بدأ التأكيد في الغرب ينصب على دور البشر وعلى مسؤوليتهم في احداث التاريخ •

وتلى عصر النهضة فترة جديدة من المحافظة ، اعتبر التاريخ فيها سبيلا للمحافظة على الاوضاع القائمة وصار رمزا لحفظ الكيانات •

وفي عصر التنوير ، برز اتجاه جديد ، وهو ان التاريخ حقل مفيد في فهم فعاليات البشر ولكنه ليس طاغية يتحكم فينا ، وظهرت النزعة العقلية وسادت فكرة التطور والتقدم البشري • ولما جاءت الثورة الفرنسية اعلنت ، فيما اعلنت ، انتصار العقل وبشرت بتكوين مجتمع جديد يستند اليه •

وظهرت الرومانتيكية بعد فترة الثورة ، اثر خيبة الامل فيما حققته الثورة الفرنسية وجاءت تعلن عضوية التاريخ وان فيه قوى استمرار واتصال ، وان كان بعض هذه القوى غير واضح •

ونتيجة للتقدم العلمي وللتأكيد على قوانين الطبيعة ، ظهر الاتجاه الى ربط التاريخ بالعلم ، وظهرت المدرسة الايجابية في القرن التاسع عشر ، وحاولت أن تجد للتاريخ ومن التاريخ قوانين لتطور المجتمعات ونماذج لذلك التطور • فقام هيجل يؤكد على فكرة العقل الفعال

في التاريخ ونادى بالفكرة القائلة بان البشرية تسير الى عصر ذهبي ، وان الفكرة او العقل وراء تطور التاريخ . وقال غيره بان فكرة معينة تسير التاريخ كالقول بان طرق الانتاج وما تحدثه من علائق تكمن وراء حوادث التاريخ كما هو شأن النظرية الماركسية .

واذا كان هيجل يرى في التاريخ مسرحا لتبرير فلسفته ولخدمة بروسيا المتوثبة ، فان ماركس رأى في التاريخ وسيلة لاحداث ثورة في خدمة الطبقة العاملة . وكل منهما انتهى اسلوبه الديالكتيكي عند فكرة اعتبرها نهاية المطاف . وهذا بحد ذاته لا يخلو من تناقض داخلي اساسي .

وهكذا سادت فكرة تفسير التاريخ في أطار من القوانين والاشكال، وآخر من حاول التعبير عن هذا الاتجاه في شيء من التوسع هو المؤرخ ارنولد توينبي في كتابه « دراسة للتاريخ » .

وهذا الاتجاه ولد رد فعل لدى كثير من المؤرخين الذين لم يستطيعوا ان يهملوا دور « المجهول » في التاريخ ، أو ان ينسوا التعقيد في الظروف ، واختلاف الامكانيات ، وراحوا ينشدون توازنا بين الفرد والمجتمع ، بين الظروف وامكانيات الابداع في التاريخ .

ومع ان بعض النظريات تفوقت وكان لها شيوع في فترة ما ، الا اننا نرى دوما تباين الاراء ، وتعدد وجهات النظر . وقد اضطرب الرأي بين من يأخذ بنظرية او بفكرة في تفسير التاريخ (مثل الحرية، العقل المسيطر ، البطل ، الجماهير) وبين من لا يريد الا الاستقراء. وكما اتخذ التاريخ لدى بعضهم وسيلة لاحداث ثورة او تبدل في

اوربا (كما فعلت الماركسية والنازية) فقد كان لدى آخرين (حتى القرن التاسع عشر) وسيلة للمحافظة على أوضاع وكيانات او بالاحرى عامل ركود وجمود .

ولا بد ان نشير الى أن هناك تطورات خارج اوربا اثرت على فهم التاريخ ، وهي التحولات الكبيرة في العالم ، اي الحركات الاستقلالية والنهضات القومية في اسيا وافريقيا . فقد ادخلت هذه، لاول مرة وبصورة فعالة ، عاملا جديدا في فهم التاريخ عند الغربيين اذ جعلتهم يتخلون لاول مرة عن فكرة ملازمة ، وهي ان التاريخ العالمي هو التاريخ الغربي وان كل جهود البشرية انتهت اليه ، وانه (أي التاريخ الغربي) منطلق ونهاية التاريخ . وبدأ الغربيون يشعرون بان هناك حضارات وشعوبا يجب ان تفهم ، وان النظر الى التاريخ على انه غربي نظر خاطيء ، وادركوا ان هناك نظرات للتاريخ غير النظرة الغربية ، بل ان فهم تاريخ أية امة يبدأ لدى ابنائها . وكل دراسة تأتي من الخارج لتاريخ أمة ما انما تعبر عن نظرة جانبية يتعذر في الغالب ان يتمثل صاحبها طبيعة تاريخ الامة أو روح حضارتها .

يتبين من الملاحظات السابقة ان أساس كل النظريات والآراء المذكورة اجتهادي ، وانها جميعا ترتبط بظروف المجتمعات الغربية وبتطورها ، وانه ليس من الدقة ان نأخذها مجردة عن ظروف نشأتها .

وامامنا طريقان : الاول ان نأخذ بنظرية من النظريات ونجد لها التبرير والتأييد في التاريخ ، أي ان نحاول ايجاد ما نريد في

التاريخ ، والتاريخ سجل وآثار تتسع لذلك ، ولكن هذه الطريق تجعل التاريخ وسيلة لخدمة اغراض خارجة عنه ؛ والثاني ان ننظر الى التاريخ بذهن مفتوح وان نحاول استقراءه للتوصل الى النتائج. وهذه حالة لا تفترض ذهنا خاليا تماما ، بل ان الانسان جزء من مجتمع له مشاكله وثقافته وتياراته ، وأرثه الحضاري وهذه كلها تؤثر في تفكير المؤرخ ، ولعلها تكون لديه بعض الفرضيات والمفاهيم العامة .

وأخيرا فان طبيعة تاريخ أمة ما ، بحكم نشأته وسيره ، قد تختلف عن طبيعة تاريخ أمة اخرى ، فتتطلب فرضيات تنبثق عنه مما لا يصدق على التاريخ الاخر .

ولنا ان نتساءل عن نظرتنا الى تاريخنا ، وعن صلة هذه النظرة بالحاضر . ومن الواضح مبدئيا ان التنبه العربي الحديث رافقه اهتمام واسع بالتاريخ العربي ، فمنذ البدايات نجد البعض يرى في تذكر الصفحات الماضية سبيلا لتكوين الثقة بالنفس وبالامكانيات ، أو ردا على الذين يرون الخمول ظاهرة طبيعية في وضع الشعب ، كما رآه البعض ضرورة لفهم ظهور الاسلام وامجاده . وهذا يعني ان الحاضر العربي وجه الاهتمام الى جوانب معينة من التاريخ العربي الاسلامي ، وهي جوانب الازدهار والقوة ، مع اغفال فترات أخرى ليست لها هذه الميزة .

وهناك عامل آخر ـ أحدث من سابقه ـ حفز الدراسة التاريخية ، وهو الشعور بان فهم الماضي ضروري لادراك الحاضر ،

وان تكوين الوعي التاريخي ضروري اذا اردنا فهم مشاكلنا الحاضرة والتخطيط لمستقبل افضل • وهذا يبدو بجلاء في دراسة الفترات التي تلت العصور الزاهرة •

ومثل هذه الدوافع تفترض وجود نظرات او وجهات في تفسير التاريخ العربي • وهنا نبين اننا امام وجهتين : فهناك من يظن ان التاريخ يشد الى الوراء ويقف في طريف الحركة ، أو انه يخدر الهمة ، واننا يلزمنا تركه وراء ظهورنا ان أردنا البناء • وهي نظرة تصدر عن فئتين : فئة تريد تطبيق الماركسية ومفاهيمها ، فلسفة تاريخية ونظاما ، وتريد قطع الصلة بالماضي وتكوين خلق جديد ، وسنعود اليها • وفئة ترى في الاكثار من تمجيد الماضي وفي دعوة البعض الى تجديد رسومه وفي اضفاء حرمة خاصة عليه نسيانا للحاضر وانغماسا في التاريخ ، وترى ان هذا الاتجاه ينسى الناس الحاضر ويدفنهم في الماضي • واذا كانت الفئة الاولى لا تعترف بجذور ولا ترى شجرة حضارية ، وتريد ان تستورد كل شيء ، فان الفئة الثانية انما تعبر عن رد فعل لمغالاة البعض • ومن الواضح ان الدراسة التاريخية النقدية ضرورية لازالة مثل هذه المخاوف • ولكن كل دراسة تاريخية تتطلب ايضا الشعور بالتراث والتحسس به لئلا تفقد خطها العضوي •

اما الوجهة الثانية فترى في التاريخ حياة متصلة ، وترى ان الحضارة شجرة لها جذورها وخط نموها ، وان الذات الحضارية لا تتركز دون وعي للتاريخ كما ان البناء لا يستقيم دون أسس راسخة • وسنرجع الى هذه •

ونتساءل الآن ـ هل لدينا تفسير للتاريخ العربي ؟ لقد قدم المؤرخون القدامى بعض التفاسير ومن ذلك ان التاريخ البشري ، بما فيه تاريخ العرب ، تعبير عن المشيئة الآلهية المتمثلة في توالي الرسالات ، وآخرها واكملها الاسلام • واصبح بعد ظهور الاسلام تاريخ أمة هي الامة الاسلامية ، ومحورها العرب • ويتمثل هذا في تاريخ الطبري •

وهناك تفسير آخر هو ان التاريخ العربي تعبير عن دور الاشراف العرب الذين حملوا رسالة الاسلام ونشروا العربية في العالم • ويتمثل هذا في كتب البلاذري •

وهناك من فسر التاريخ تفسيرا اخلاقيا ، ورأى فيه العبرة بتصرفات البشر وسبيلا لتلافي الاخطاء وعونا على الاهتداء كمسكويه •

وفسر آخرون التاريخ على أنه تعبير عن فعاليات الاشراف والعلماء والادباء والزهاد والكتاب ، كل ذلك في نطاق دولة الاسلام، كما ترى في تآليف أمثال ابن الجوزي والذهبي •

واخيرا هناك تفسير حضاري اجتماعي ، كتفسير ابن خلدون الذى يرى ان المجتمعات تبدأ برباط العصبية ، وتتدرج الى التوسع غالبا ، فالازدهار الحضاري ، يعقبه الترف والركود فالضعف والانهيار • فهو اذن يعطي قوانين لنشوء المجتمع والدولة ولتطورها وتلاشيها •

ولو نظرت الى كل تفسير لوجدت صلته وثيقة بالتطور الثقافي والاجتماعي والسياسى ولرايت انه نتيجة مفهومة لهذا التطور •

ومرت بنا فترة ركود فكرى حتى بداية النهضة الحديثة • وقد انقطعت بنا الاسباب مع هذه التفسيرات • ثم اتصلنا بالفكر الحديث وبتفاسيره التاريخية ، ولكننا لانزال نتلمس الطريق لوضع تفسير حديث لتاريخنا •

وحين ننظر الى الدراسات العربية الحديثة نرى ان البعض أكد على فكرة الامة بمفهومها البشري ، وجعل الامة العربية بالمفهوم الثقافي او غيره محور الدراسة •

وذهب البعض الى التأكيد على تاريخ الشعوب لا الامراء أو الخلفاء ونبهوا الى وحدة تاريخ الامة واتصاله في حين ان دراسة التاريخ على أساس الامراء او الاسر تورث التجزئة وعدم فهم التطور العام •

ومع ان هذه الدراسات تنطوي على روح عربية او على وجهة قومية الا اننا يندر ان نجد دراسة فسرت التاريخ العربي تفسيرا قوميا •

والتفت البعض الى اهمية الاوضاع الاقتصادية واثرها في الحياة العامة ، وطبقوا ذلك على فترة او حركة • وحاول غيرهم ان يعالج النواحي الاقتصادية متشابكة مع جوانب الحياة الاخرى • وهذا الاتجاه لا يعني بالضرورة تفسير التاريخ العربي تفسيرا ماديا كما يظن • والواقع اننا لا نرى تطبيقا للتفسير المادي عند الكتاب بالعربية • والمحاولات الوحيدة في هذا المجال هي محاولات المستشرقين الروس ، وهي لا تخلو من قلق وتبدل ، كما انها

محاولات سياسية وليست اجتهادات تاريخية ، [انظر الملحق] .

وهناك بعض الدراسات التاريخية التي تحوي نظرات اسلامية في تحليل التاريخ العربي وخاصة في دراسة السيرة وفترة الراشدين، وهي في الغالب تلخيص أو اقتباس بسيط من المصادر الاولية. ولكني لم أر تفسيرا اسلاميا شاملا ، بمفهوم حديث ، للتاريخ العربي الاسلامي .

ومثل هذا الوضع منتظر في الدراسة التاريخية ، اذ لابد أن تستقر فلسفة معينة او تتبلور نظرة تاريخية لدى الباحث قبل ان يستطيع تطبيقها . ولابد مع ذلك ان تستقر اصول البحث التاريخي قبل ان يتخذ البحث اسلوبه التاريخي المتين .

ولا يعني هذا اني احبذ اخذ فلسفة تاريخية معينة وتطبيقها على التاريخ العربي . فالفلسفات التاريخية رهينة بظروف نشأتها وقد يؤدي تطبيقها الى قسر التاريخ ليماشيها ، والى اخراجه عن نطاقه .

٣ – ونحن حين ندرس تاريخنا نريد فهمه ، وبالتالي تكوين فكرة واضحة عن جذور حاضرنا ، وفهم امكانياتنا وتقدير دورنا في سير البشرية . وتتطلب مثل هذه الدراسة ، لتكون جدية ، توفر عناصر عدة ، منها :

١ – ان لا تكون دراسة خارجية ، أي من قبل اناس من خارج المجتمع العربي ، لان مثل هذه الدراسة قد تكون مفيدة وقيمة ، ان سلمت من الهوى، ولكنها ينقصها الفهم الداخلي والشعور بروح التاريخ العربي .

٢ ـ ان لا تكون لدينا فرضيات خارجة عن هذا التاريخ وعن المجتمع الذي صنعه • فاذا كنا بحاجة لان نفهم كل النظريات التاريخية ، الا أننا لا نريد اخضاع تاريخنا لفرضيات ووجهات بعيدة عنه ، بل الاجدر بنا ان تكون فرضياتنا مشتقة من هذا التاريخ ومن محاولاتنا لفهمه • وكمثل لذلك اذكر ان فكرة الامة تسود جل تاريخ العرب ، وان توسعهم وحضارتهم استندا الى رسالة تاريخية حملوها ، وانهم خرجوا بقيم خلقية وانسانية لعبت دورها في تطورهم وأثرهم في سير المدنية •

٣ ـ ان ندرس تاريخنا بروح النقد والتفهم في آن واحد • فنحن لا نريد اضفاء صفة القدسية عليه ، فهو تاريخ بشر ، ولكننا كذلك لا يمكننا هدم وتقويض حقائقه على مذبح الشك الساخر • ولا نريد ، في الوقت نفسه ، اضفاء صفة رومانتيكية عليه بدراسته كتاريخ بطولات لئلا نغفل دور الجماعات فيه • (فهذا رسول القادسية يقول لعمر بن الخطاب : استشهد فلان وفلان •• الخ • وآخرون لا يعرفهم الا الله) • ونحن نريد روح تفهم لهذا التاريخ، فهناك تراث متصل وهناك اتجاهات وتيارات تستحق الملاحظة والمتابعة • والاساطير نفسها ، رغم أنها لا يؤخذ بها ، لها دلالتها في فهم التاريخ وتطوره •

٤ ـ ان نتذكر ان الحاضر يتصل بالماضى • فالحاضر يثير بعض المشاكل والحاضر يكون مفاهيم ونظرات ، وهذه تؤثر في دراستنا للماضى • كما ان الماضى له جوه وله مفاهيمه ولا يمكن اغفالها في دراسته • ومن المتعذر فصل هذين الجانبين فهما متكاملان متفاعلان ، ومدى ذلك يتصل بالممارسة التاريخية والتقدير الذاتي •

٥ ـ ونحن نقدر وجهة الاتصال والاستمرار في تاريخنا . ولكننا ندرك ايضا انه مر بفترات فيها طابع الثورية والتوثب حين تتجمع قوى الامة لتندفع منطلقة صاخبة . وهذا يعني ان تاريخنا ، وان كان متصلا متتابعا ، الا ان فتراته متباينة في الحركة وفي التأثير المباشر والبعيد . فقد تكون فترة بعيدة نسبيا اكثر اثرا في تفكيرنا وحياتنا الحاضرة من فترة تلتها زمنيا بمدة طويلة .

ومعنى هذا اننا لا ننظر الى تاريخنا نظرتنا للظواهر الطبيعية الرتيبة ، فاذا اردنا فهمه وجب ان ننظر اليه بتوثبه وركوده ، بجماعاته وافراده ، باحداثه العادية ومفاجآته .

٦ ـ ان المجتمع وحدة تتداخل فيها العوامل وتتبادل التأثير . فالجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والنفسية تلعب دورها متداخلة متشابكة ولا يمكن اغفال جانب منها .

٧ ـ وتاريخنا قبل ما ذكرنا وبعده ، تاريخ امة وتاريخ حضارة شهد من ضروب النشاط ألوانا ، وعج بالتيارات والاتجاهات ، ومر بفترات توثب وفترات ركود ، ولكنه يبقى تاريخ أمة عربية وتاريخ حضارة عربية اسلامية .

وخير سبيل لدراسة التاريخ العربى هو أن يبحث على أسس حديثة . ولكنى لا أرى اصول البحث التاريخى الغربي وافية ، بل من الضروري ان نكون مصطلحا تاريخيا يلائم طبيعة اصول التاريخ العربي . اننا لا نحتاج الى التلاعب بالتاريخ فكل بناء يستند الى الزيف زائف وما أحرانا ان نبني على أسس متينة من البحث ومن الشعور بالمسؤولية .

* * *

٤ ـ [ملحق ـ الماركسية والتاريخ العربي]

حاول بعض الكتاب الروس أن يفرضوا النظرية الماركسية اللينينية على التاريخ العربى ، ولذا طبقوا عليه تكوين أوليتين :

الاولى : أن تبدل علاقات الانتاج هو أساس تطور التاريخ ، وأن المجتمعات البشرية تمر بخمس مراحل : البدائية الجماعية ، ملكية الرقيق ، مرحلة الاقطاع ، الرأسمالية ، الاشتراكية • ولا بد من تطبيق ذلك على المجتمع العربى • ويرون أن هذا المجتمع مر قبل الاسلام بالمرحلة البدائية الجماعية الى مرحلة امتلاك الرقيق، وربما بدت بوادر المرحلة الاقطاعية، وهذا التطور ولد أزمة اجتماعية اقتصادية انتجت الاسلام • وحاولت ارستقراطية الملاكين الخروج من الازمة بالفتوحات ، فنتج عنها تحول المجتمع كليا الى مجتمع اقطاعي ، وهذا ما حصل في العصر العباسي •

والثانية ، ان الاسلام نتاج أزمة اجتماعية اقتصادية سببها تبدل علاقات الانتاج ، فهو اذن لتعزيز مصالح الطبقة الناشئة ، وهو اذن ظاهرة تاريخية عادية •

وهذا تفسير لا يتعدى ملء فراغات في خطوط جاهزة ، فكان لابد لاصحابه من تجاهل المصادر الاولية من جهة والسعي وراء نتف مبعثرة لتطبيق المخطط، فهم يغفلون الحضارات العربية التي تمتد الى أواخر الالف الثاني قبل الميلاد، ويتناسون ان الفترة التي سبقت ظهور الاسلام هي فترة تدهور في الفعاليات الحضرية ، وفترة انتكاس تتمثل في توسع البداوة والقبلية على حساب الحاضرة •

ومن المنتظر ان يضطرب هؤلاء الكتاب في تحديد التبدل

الذى يفرضه مخططهم • فبعضهم يرى ان المجتمع العربي (في مكة والمدينة) شهد بداية تكوين مجتمع يمتلك الرقيق ، بينما يرى (بيجولفسكايا) ان القرآن يشعر بتركز مرحلة ملكية الرقيق ويذهب (مع بلاييف) الى ان المرحلة الاقطاعية هي من اثار اتصال العرب بالشعوب الاخرى •

هذا ويرى آخرون ان المجتمع الاقطاعي بدأ بالتكون فعلا •

وتبع هذا قلق في التفسير • فمنهم من يرى أن الاسلام يلائم مصالح الطبقات المستغلة الجديدة من ملاك وارستقراطية الاقطاع (مثل كليموفيج) ، ومنهم من يراه في مصلحة ارستقراطية الرقيق فقط ، في حين ان البعض (مثل بلاييف) يرى ان الاسلام المتمثل بالقرآن لا يلائم المصالح السياسية والاجتماعية للطبقات الحاكمة ، فلجأ اصحابه الى الوضع في الحديث لتبرير الاستغلال الطبقي الجديد •

وفي حين ان بعضهم يقول ان الارستقراطية وحدت القبائل العربية لتحقيق اغراضها يقول غيرهم ان القبائل كانت تتوثب للوحدة فجاء الاسلام موحدا يعبر عن ذلك التوثب •

ويضطرب الموقف من نشأة الاسلام ذاته ، فبينما يدعي (كليموفيج) ان محمدا (ص) واحد من عدة انبياء ظهروا وبشروا بالتوحيد وأرادوا توحيد القبائل ، يذهب (تولستوف) الى نفي وجود النبي العربي ويعتبره شخصية اسطورية •

وبينما يعترف البعض بظهور الاسلام ، يذهب (كليموفيج)

الى ان جزءا كبيرا منه ظهر فيما بعد في مصلحة الاقطاعيين ونسب أصله الى فعاليات معجزة لمحمد ، وتجاوز (تولستوف) الى ان الاسلام نشأ عن أسطورة صنعت في فترة الخلافة لمصلحة الطبقة الحاكمة ، وهي أسطورة مستمدة من اعتقادات سابقة تسمى الحنفية •

وانت ترى بعد هذا ، البون الشاسع بين الاهتمام بالنواحي الاقتصادية واعطائها ما تستحق من عناية ، وبين اتخاذ التاريخ وسيلة لتبرير الماركسية ودعمها • كما ترى الفرق بين البحث التاريخي وبين فرض نظرية خارجية على التاريخ •

تفسير التاريخ

الدكتور صالح احمد العلي

اهتمام الانسان بماضيه قديم ، ودراسته وتداوله ربما كانا يرجعان الى الزمن الذي وجدت فيه للانسان ذاكرة تعي وتحفظ ، ولسان ينطق وينقل ما في الفكر ، وقد بدأ تدوين التاريخ منذ ان بدأت الكتابة ، فاخذ الملوك والكهان يدونون سجلات باعمالهم ومنجزات شعوبهم ومن ابرز من اهتم بها الآشوريون الذين كان ملوكهم يهتمون بهذه الحوليات اهتماما كبيرا ، وعلى الرغم من مجانبة كثير مما فيها الدقة ، فانها تضم معلومات واسعة وتظهر مدى اهتمامهم بدراسة التاريخ ، كما اظهر اليونان والرومان اهتماما فائقا بالتاريخ وتدوينه .

اما المسلمون فقد احتلوا مكانة بارزة خاصة في الاهتمام بالتاريخ ، فالفوا في مختلف فروعه ، من تواريخ عامة تتعلق بتاريخ العالم وتاريخ المسلمين ، وتواريخ خاصة ، كتاريخ حادثة او شخص او مدينة او عشيرة ، فكان ما الفوه هائلا في عدده ، منوعا في مواضيعه ، طيبا في نوعيته .

ثم ان العرب من اجل دراستهم للحديث النبوي ومدى اصالته ، اهتموا بدراسة رجال الحديث ونقدهم ، لمعرفة مدى اصالة الاحاديث التي يروونها ، وكانت دراسة رواية رجال الحديث دقيقة رائعة ، كانت فيها اضافات رائعة ومساهمة عظيمة في دراسة تقدم طريقة البحث التاريخي ، وخاصة فيما يتعلق بالنص والرجال ، وكانت

دراستهم تطبيقية ونظرية ، وفيها ما لا يقل عظمة وروعة عن خير ما انتجه الفكر الحديث من دراسة في الطريقة التاريخية • ومع ان هذه الدراسات قام بها المحدثون ، واقتصرت بالدرجة الاولى على دراسة الحديث ، الا انها كانت ذات علاقة وثيقة بالتاريخ اولا لان دراسة النص والرجال هي في صميم الدراسة التاريخية ، لانه بحث في الماضي ، وثانيا لان عددا غير قليل من المؤرخين كانوا بدورهم محدثين ، فتأثروا بطريقة المحدثين ، وطبقوا بعض طرائق المحدثين واساليبهم في التاريخ ، واوضح ما يتجلى ذلك في اهتمامهم بذكر سلسلة السند ، ومحافظتهم على حرفية النص عند نقل اقوال المتقدمين •

ثم ان المسلمين اهتموا بفلسفة التاريخ وبمعرفة القوانين التي تتحكم في سير الانسان وسعادته ، والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرها • والواقع ان الاسلام دين يعتبر التاريخ اساسا في عقيدته ، ويعرض فلسفة تضع نظما وقوانين لسير الانسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرها ، هذا فضلا عن تاكيده على علاقة القرآن بما في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى ، وان الاسلام والرسول يتبعان ملة ابراهيم حنيفا مسلما ، ويؤكد باستمرار على المسلمين بأن ينظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم ، وينظروا الى مصائر الامم •

والقرآن يؤكد بأن العامل الاكبر في تقرير مصير الافراد والامم والدول هو الايمان المتصل صلة وثيقة بالاخلاق ، فالاخلاق هي القانون الذي يسير البشرية ، ففيه تسعد البشرية ويزدهر المجتمع ،

او تشقى وتتفكك ، والاخلاق هي السلوك المتصل بالمثل العليا .

وقد بحث عدد كبير من مفكري المسلمين وعلماء الدين في هذه الامور وانتجوا افكارا لو أعيد اليوم جمعها ودراستها وتحليلها لاظهرت جانبا من اهتمامهم بفلسفة الانسانية ، وابرزت مدى عمق تفكيرهم ونظرتهم الانسانية واهتمامهم بالمقاييس الخلقية ، وان في افكارهم دروس تفيدنا غير قليل في الازمة التي نلاقيها اليوم .

ثم ان المسلمين انتجوا ابن خلدون الذى حاول ان يحلل في مقدمته مظاهر الانسانية وتطورها ، ويضع للتاريخ فلسفة شاملة ، ويستنبط منه قوانين عامة تسير عليها البشرية في تطورها ، ومع ان ابن خلدون لم ينجح تماما في تطبيق قوانينه الا انه ربما كان متأثرا لا شعوريا بالمنطق الذى يرسم للمعرفة قوانين عامة ، او باصول الفقه الذى يهدف الى ان يستنبط من جزئيات الفقه وحادثاته الهائلة في عددها وتنوعها ، قواعد عامة تنظم سير هذه الجزئيات ، ومع ان بعض تفاصيل ابحاثه معتمد على دراسات سابقة ، وعلى بعض ارائه مجال للاعتراض الا انه يقف في تاريخ فلاسفة التاريخ كالطود الاشم ، اذ لم يسبقه ، او يتبعه ، حتى جاء فيكو بعد ثلاثة قرون ، من كانت له ما لابن خلدون من بصيرة عميقة ، ونظرة دقيقة ، واستنباط عميق ، وبحث شامل في كثير من ميادين النشاط الانساني السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني والفكري .

لقد كان ابن خلدون كالطود الشامخ ، والجبل السامق ، الذى وقف وحده يسمو على من سبقه في النظرة والعمق ، ولم يجاره من

بعده من المسلمين ، اذ ان الفكر الاسلامى كان آنذاك في دور الانحطاط والضعف .

اما اوربا ، فمع انها كانت قد بدأت تنهض وتتقدم ، الا ان اهتمامها منذ نهضتها بالدراسات التاريخية قليل نسبيا ، فكان جل اهتمامها السياسى منصبا على التجارة والتوسع المادى ، واما اهتمامها الفكرى فقد انصب بالدرجة الاولى على العلوم الرياضية والطبيعية ، ويمكن القول بان هذا الاهتمام وصل اوجه في القرن التاسع عشر الذى انتج اعاظم المبدعين في ميادين الفيزياء والكيمياء والطبيعيات والبيولوجيا ، كما ازداد تطبيق بعض نظريات العلم في الصناعة ، فادى الى كثير من الاختراعات التى زادت من كمية الانتاج ونوعيته ، وزادت من قوة الانسان في السيطرة على الطبيعة كل هذا ادى الى تزايد اهتمام الناس بالعلم وانتاجه ، وتقديرهم لطريقته ، ووثوقهم بصحة ما تتوصل اليه من نتائج ، حتى اصبح اكثر الناس يعتقدون ان العلم هو الشيء الوحيد الموثوق بصحته ، وان الطريقة العلمية هى الوسيلة الوحيدة للوصول الى المعرفة الصحيحة ، وان كل معرفة لا يتوصل اليها بالطريقة العلمية لا يمكن الوثوق بصحتها او الاعتماد عليها ؛ ورافق كل ذلك ازدهار وسيطرة الفلسفة الطبيعية التى تستند الى الدفاع عن العلم وطريقته .

وقد تأثر كثير من الباحثين في المواضيع الاجتماعية عامة ، وفي التاريخ ايضا ، بهذه النظرة الى درجة ان نادى المؤرخ البريطانى المشهور بيورى ان « التاريخ علم لا اكثر ولا اقل » .

والواقع ان العلوم الطبيعية والتاريخية تهدف كلها الى غاية واحدة

هي الوصول الى الحقيقة وعرضها بشكل منظم مترابط ، وهي تبدأ بحثها بفرضيات تحاول تمحيصها والتثبت من صحتها ، وتبدأ بالبحث من الجزئيات ، ثم تخلص منها الى الاستنتاجات والى رسم الكليات .

ان اعتبار التاريخ علما ادى بالمؤرخين الى الدقة والحذر في التثبت من الحقائق وصياغتها والتأكد الدقيق من صحة كل نقطة ، وفحص مختلف الادلة بغية الوصول الى نتائج مضبوطة كما ادى الى تضييق نطاق التحيز .

غير انه في نفس الوقت جعل بحث التاريخ أمرا شاقا ، وكتابته صعبة ، وقراءته مملة ، فقل الراغبون فيه ، واصبح اكاديميا جامعيا ، تجنب كثير من الراغبين الكتابة فيه خشية الوقوع في الزلل ،وانصرف هم الباحثين فيه الى التعمق في نقاط صغيرة ، مهما كانت دقة بحثها، فانها لا تعطي صورة واضحة لسير الانسانية او تطور المجتمع .

ثم اخذت على ممر الايام تتجلى صعوبات تقف امام تطبيق طريقة العلوم الطبيعية على دراسة التاريخ ، ذلك ان طريقة العلوم الطبيعية تستهدف الوصول الى حقائق مصنفة تنظم في قواعد عامة او قوانين تنطبق على كل الحالات عند تساوي الظروف وبصرف النظر عن الزمان والمكان . وهي تتبع للوصول الى هذه الغاية طريقة المشاهدة والتجربة والاختبار بعد ان تعزل المواد التي تريد دراستها عزلا تاما وتخلصها من التأثيرات الخارجية ، فاذا ادى تكرار التجارب اوالمشاهدات المتعددة الى نفس النتائج ، فان النظرية تثبت وتصبح

قاعدة او قانونا ينطبق على كافة الحالات المتشابهة مهما اختلفت اماكن القيام بالمشاهدة والتجربة او زمانها • ونظرا لوجوب انطباق القانون على كافة الحالات فانه يمكن التنبؤ بها •

ولتوضيح ذلك نورد مثلا هو انه اذا حل جسم في ماء فانه يفقد من وزنه بقدر حجمه من الماء ، فاننا نشاهد هذه الظاهرة ثم نكرر تجربتها في اماكن مختلفة وازمنة متباينة ونتأكد في كل مرة من كون الماء نقيا ، وألا تتدخل عوامل خارجية اخرى ، كان يوضع ضغط خارجي على الجسم ، او الا يكون الماء نقيا مما قد يؤثر في التجربة ، فاذا كانت نتيجة التجارب المنوعة واحدة ، فان الفرضية تثبت وتصبح قانونا ينطبق على كل الحالات المتشابهة في الماضي والحاضر والمستقبل ، ويمكن بعدها التنبؤ والقول بانه اذا غطس جسم في ماء في المستقبل ، فسيفقد من وزنه بقدر وزن حجمه من ذلك الماء •

ان طريقة دراسة العلوم الطبيعية التى وصفناها آنفا لا يمكن تطبيقها بحذافيرها في دراسة التاريخ وذلك لعدة أسباب :

١ً- ان الاشياء موضوع الدراسة في التاريخ ليست امامنا لنستطيع لمسها او مشاهدتها شأن الاشياء التى تدرسها الكيمياء والفيزياء مثلا ، وعلى هذا فلابد لدراسة التاريخ من اتباع طريقة غير مباشرة ، وذلك بالاعتماد على ما كتبه او تركه الذين شاهدوا الاشياء التى نريد دراستها ، وهذه الكتابات والمخلفات ما هى الا رموز تتطلب الفهم والتفسير ، فضلا عن النقد للتحقق من صحة ما تدعيه هذه الكتابات •

ونظرا لعدم امكان احضار الشيء موضوع الدراسة او تكراره ، فانه لا يمكن اجراء التجارب عليه للتحقق منه شأن العلوم الطبيعية ، وهكذا فعند دراستك تكوين الماء يمكنك ان تحضر الهيدروجين والاكسجين وتفحصهما وتجرى عليهما التجارب بنفسك ، اما اذا اردت دراسة ضرب هارون الرشيد للبرامكة ، فانك لا تتمكن من احضار هرون الرشيد لتشاهده وتسأله او لتجرى عليه التجارب ، فلابد لك في هذه الحالة من الاعتماد على ما كتبه الآخرون ، وقراءة ما كتب وتمحيصه وتحليله .

ثم ان احداث التاريخ الجزئية تجرى مرة واحدة ولا تتكرر مطلقا ، لذا فان دراستها وفهمها مهما نضج وكمل ، لا يمكن ان يطبق على الحوادث الاخرى ، اى انه لا يمكن التنبؤ بها ، ولا يمكن استنباط قوانين دقيقة منها .

٢ً ـ ان الاشياء التى تدرس في العلوم الطبيعية هى اجزاء دقيقة كالمتة ، فنحن عند دراستها لا نحسب لبواطنها ودخائلها ، أي حساب ، ونقتصر في دراستها على مشاهدتها ومراقبتها من الناحية الخارجية ، فدراستها تتطلب بالدرجة الاولى الادراك دون البصيرة اما الاشياء التى يدرسها التاريخ فهى كائنات حية ذات احساس وشعور وادراك باطنى وتفكير ، فهى لا تستجيب كلها نفس الاستجابة للمؤثر الواحد ، بل تختلف استجاباتها باختلاف الاشخاص ، فهى لذلك كائنات معقدة ، ودوافعها متعددة متنوعة ، ليس من الممكن دائما حصرها ومشاهدتها ، ولا يمكن عزلها عند محاولة دراستها شان العلوم الطبيعية ، فلابد من عدم الاكتفاء بظواهر الاعمال ، بل

التوغل الى الاعماق ومحاولة فهم العوامل المؤثرة التى يلعب الانسان او موضوع الدراسة دورا في تكييفه .

٣ً ـ في الدراسة الطبيعية يمكن التجرد التام ، وتجنب التأثير الشخصى للدارس في موضوع الدرس ، اما في التاريخ فمن الصعب التجرد التام .

أ ـ من الصعب جدا على الشخص دراسة نشاط الانسان من كافة نواحيه ، نظرا لتعدد نواحى هذا النشاط وتعقدها واختلافها ؛ فلابد للدارس ازاء هذا من اختيار ناحية او بعض نواحى نشاط الانسان فيدرسه ، ولا ريب ان اختياره لاية ناحية من النواحى يتوقف على ميوله ورغباته وتقديراته الشخصية لا على طبيعة موضوع الدرس .

ب ـ لما كان الموضوع المدروس في التاريخ لا يمكن مشاهدته ومراقبته واختباره فلابد للدارس من ان يعتمد على الوثائق الباقية التى تصفه ، ولابد له من ان يقرأها ويتفهمها ليتصور موضوع الدراسة وكيف كان ، وما هى العوامل المؤثرة في سلوكه ، وفهم كل عامل وتقدير قيمته وترجيحه على غيره ، وهذا يتطلب منه استخدام خبراته السابقة وتجاربه وأفكاره الشخصية لتقديرها .

ومعنى هذا انه لابد لدارس التاريخ من ان يستعمل ذهنه وافكاره الخاصة لفهم حوادث الماضى ، فكتابته عن اية حادثة اذا لا تتوقف على الحادثة فقط ، بل على فكر المؤرخ نفسه ايضا ، ومن المعلوم ان المؤرخ قد يتأثر باوضاعه الذهنية الخاصة في الحكم على الاشياء ،

وذلك اما لعوامل شخصية من حب او كره ، او لما له من اتجاهات فكرية : كأن يكون ذهنه منشغلا بامور التجارة والماليـــة فينظر الى النواحي المالية ، او يكون اجتماعيا فينظر الى الجوانب الاجتماعية ، او سياسيا فينظر الى النواحي السياسية ويعيرها اهمية كبرى ، ويرى فيها العامل الاكبر ، فيؤكد عليه ويوضحه ، او قد يكون مؤمنا بقيـــم اخلاقية ومثل عليا معينة تشرب فيها ذهنه ، وكل هـــذه تؤثر في تقديراته واحكامه على ترجيح العوامل المؤثرة في حادثة ما ؛ ولعل هذا من اهم الاسباب التى تجعل المؤرخين تختلف كتبهم ونتائـــج ابحاثهم رغم اعتمادهم على مصادر واحدة في البحث ، كما ان هـذا هو السبب الذى حمل الفيلسوف الإيطالى بنديتو كروتشى على القول بان « كل التاريخ تاريخ معاصر » وهو يقصد بذلك ان كتابة التاريخ تمثل الماضى كما يفهمه المعاصر ، وان لذهن المعاصر أثـرا كبيرا في تصوير الماضى ، فكتاب التاريخ لا يمثل الماضى فقط ، بل يمثل الى حد ما العصر الذى يكتب فيه الكتاب .

ثم ان المؤرخ قد لا يجد كل الوثائق متوفرة لديه في بحـث موضوع ما ، فلابد له من الحدس في بعض الامور ، ومن استعمـال بصيرته لاملاء بعض الفجوات والمجاهل في تقدير الاسباب او بعض الاحداث او النتائج التى لاتقدم الوثائق عنها معلومات وافية .

د ـ وكثيرا ماتكون الوثائق والمادة الاوليـــة اوسع من ان يستطيع المؤرخ هضمها والاحاطة بها ونقدها وتحليلها ومقارنتها لفهم الحقائق على ما هى ، هذا فضلا عن عدم امكانه استيعاب كافة ما كتب من ابحاث حول موضوع دراسته ، وتتجلى هـــذه المشكلة بصورة

خاصة عندما يحاول المرء دراسة التاريخ الحديث وخاصة المعاصر حيث يجد آلاف الكتب ، ومئات الاطنان من الوثائق التى لا يكفى استيعابها عمر الانسان .

قد يقترح المرء ان يستخدم المؤرخ مساعدين له لقراءة الوثائق ، غير ان هؤلاء المساعدين مهما كانت فطنتهم وذكاؤهم فانهم قد لا يدركون تماما ما يريد المؤلف ، فينقلون ما لا يهمه ، ويهملون ما قد يكون مهما له ، فتضيع فوائد كبيرة .

هـ ـ ثم انه قد تتوفر كل الوثائق الصحيحة عن نقطة ما ، ولكن المؤرخ يحاول بيان مكان النقطة التى يدرسها في نطاق التاريخ العام ، فيندفع في ابحاث لا تنتهى ، ولنورد على ذلك مثلا ، ان لو جاءتك وثيقة برهنت الادلة على صحتها حول ضريبة كانت تدفعها مدينة ما للدولة ، ولكنك اردت ان تفهم هذه الضريبة ، فان عليك ان تعرف بقية الضرائب التى تدفعها تلك المدينة ، والتي تدفعها المدن الاخرى ، والجباة وطبائعهم ونصيبهم ، ومقدار ما يصل الدولة منها ، والعملة التى قدرت فيها الضريبة ، ومستوى الاسعار ، ووضع السلعة التي فرضت عليها الضريبة ، والوضع الاقتصادى العام الذى كانت الضريبة من ضمنه ، ووضع مالية الدولة العامة ، والى غير ذلك من الاسئلة التى قد تستمر الى ما لا نهاية له ، ويتطلب كل سؤال جمع وثائق جديدة ، قد تكون متوفرة ، فيتطلب ذلك فهمها وتحليلها الذى يحتاج الى وقت طويل ، او قد لا تتوفر فتولد الياس في قلب الباحث . والواقع ان مشكلة « اين يقف الباحث في بحثه » ، لا تقل صعوبة عن مشكلة « من اين يبدأ » ، كما ان اشارة الباحث لما نجهل

قد تدل على بصيرة وذكاء المؤرخ ، ويكون لها قيمة لا تقل عن قيمة ما يكتشف .

و – ثم ان تدوين الحقائق التى نكتشفها مهما كانت دقتها وصحتها ، لا يمكن ان يكون وحده تاريخا ، لان معرفة صلة الحادثة وعلاقتها بالاحداث الاخرى امر اساسى في التاريخ لا يقل اهمية عن الحقائق المكتشفة ؛ فمعرفة العلل والدوافع ، والاسباب والنتائج جزء أساسي ورئيسى في دراسة التاريخ ومعيار من ابرز المعايير في تقدير قيمة اى كتاب .

ان دراسة الاسباب والنتائج تضفى على دراسة التاريخ طابعا يباعده عن العلوم الطبيعية .

أ – لان الاقدمين اهتموا في الغالب بتسجيل الحوادث المفردة ، وهى منعزلة دون الاهتمام بايضاح صلتها بالاحداث الاخرى ، فلابد للدارس الحديث من ان يقوم بالبحث في الاسباب والنتائج وايجاد الصلة بين احداث قد تتراءى متباعدة .

ب – ثم ان لكل حادثة أسبابا متعددة ، ودوافع معقدة ، كما ان نتائج كل حادث قد تباين نتائج غيرها ، فقد تكون نتائجها متعددة او محدودة ، كبيرة او تافهة آنية او بعيدة المدى ، بعضها ظاهر يسهل ادراكه ، وبعضها خفى يتطلب ذكاء وفطنة لكشفه واظهاره .

فمعرفة العلل والاسباب والنتائج والآثار ، عملية مهمة ، ولكنها شاقة ، تعتمد على تفكير المؤلف وفطنته .

ثم ان لكل حادثة عدة اسباب وعدة نتائج ، وهذه الاسباب

والنتائج تختلف في اهميتها ، ومن واجب المؤرخ ان لا يكتفى بتعداد الاسباب ، بل ان يقدر مدى اهمية كل سبب ، ويبين السبب التافه من المهم ، وكذلك النتائج وتقدير الاسباب والنتائج ومدى اهمية كل منها تتطلب ذكاءا وفطنة وعقلا واسعا كما تتطلب اطلاعا واسعا على مجرى تاريخ الفترة او الامر الذى يدرسه ، وكذلك تتطلب اطلاعا على روح العصر الذى يدرسه ، والمقاييس التي كانت فيه ، ومن المعلوم ان لكل مجتمع في كل عصر طابعا ، فقد يكون الحماس الدينى في مجتمع ما وفي عصر ما سائدا ، فيكون دافعا قويا لاعمال البشر وتقدير مكانتهم في المجتمع ، أو قد يكون التفكير فيها المكان الاول في مثل الناس وتقديراتهم ، او قد تكون الثروة والمادة • ومن المعلوم ان المؤرخين الاقدمين متباينون في تقديرهم للطابع العام في عصرهم ، ولا يمكن ان نعرف روح العصر بالاعتماد على واحد منهم فقط ، ولاخذ على ذلك مثلا من التاريخ الاسلامى الاول ، من طبقات ابن سعد وانساب الاشراف للبلاذري ، فكلاهما مصدر رائع للقرن الاول ، ولكننا نلاحظ ان ابن سعد يفصل في تراجم رجال الدين والحديث والتفسير ، اما رجال السياسة والادارة والحرب فانه في الغالب يكتفى عن كل واحد باسطر ، ان كان يذكر احدا منهم ، اما البلاذرى فيهتم بالعرب ، ومن عمل في السياسة والادارة والحرب والحكم فيضفى على بحث كل منهم تفاصيل كبيرة ، وقلما يتحدث عن رجال الدين وعلومه ، فابن سعد يعطيك انطباعا ان الناس لا يشغلهم الا الدين وعلومه ، والبلاذري يصور لك الناس ولا تشغلهم الا الادارة والحرب والسياسة ، وعليك ان تكون حاد الذهن متوقد

الذكاء واسع الفكر لتقدر من هذه المتباينات صورة روح العصر والامور التي اهتموا بها وكونت مثلهم العليا ومقاييسهم للتقدير ، لتعرف الدوافع المهمة التي كانت في ذلك العصر ؟ وهذا يؤدى بنا الى تقرير حقيقة اخرى وهي انه قد يذكر مؤرخ معاصر اسباب حادثة ونتائجها ، ولكننا لا نقره على تقدير اسبابه ونتائجه ونرى غير ذلك .

ان اسباب الاحداث التاريخية ونتائجها كثيرة ومعقدة يصعب حصرها ، بعضها ظاهر وبعضها خفى ، بعضها مذكور وبعضها لابد من تلمسه ، وهي من اروع واصعب ما في الدراسة التاريخية ، والواقع ان تقريرها وتقديرها يتوقفان بالدرجة الاولى على دارس التاريخ .

وهنا لابد من الاشارة الى المحاولات الكثيرة التي قامت لكشف الاسباب الرئيسة التى تسير البشر ، اى الى وضع ، او كما يقال ، كشف القوانين التى تسير التاريخ ، وهى تستهدف بالدرجة الاولى تقريب سبب واحد فريد او رئيس تسير الانسانية بموجبه ، كالعامل الديني ، او الاجتماعى ، او الاخلاقى ، او العقلى ، او المادى ، او الماركسى ومحاولة المدافعين عن كل فلسفة اثبات صحة نظرتهم بايراد امثلة متعددة للتدليل على وجهتهم . ان هذه الدراسات والفلسفات فيها ولا ريب جهد عقلى كبير ، وطرافة غير قليلة ، وقد اعانت على لفت النظر الى جوانب من حياة الانسان وتاريخه كانت من قبل مهملة او مغمورة . ولكنها تنقد جميعا من حيث تبسيطها دراسة الانسان وضعفها في تقدير مدى تعقده في سلوكه وتصرفاته ،ودوافعه

الظاهرية والباطنية ، الشعورية واللاشعورية • والواقع ان التاريخ معقد بتعقد الانسان ، وانه بالرغم من الجهود الجبارة التى بذلت حتى اليوم في دراسة التاريخ ، فان طريق السير الكلى للانسانية لما يتحدد بالضبط حتى الآن ، والدراسة الشاملة التى تضم كافة التفاصيل الصحيحة وتقدر بدقة قيمة كل من الدوافع لا تزال بعيدة المنال • كما ان الانسان وهو الجزيئة التى تكون التاريخ ، والكائن الذى باعماله يخلق التاريخ لما تكتمل دراسته بعده ، ولا يزال علم النفس ، الذى يدعى اليوم بان غرضه دراسة الانسان بالطريق العلمية لايزال وليدا • وعلى كل فيجب ان نتذكر انه مهما قيل في اثر البيئة والمحيط ، ومهما قيل في قيود الانسان الجسمية والعقلية والاجتماعية، فان من اهم ميزاته هو ماله من حرية ارادة واختيار وفي تباين سلوك الافراد ، ولو الى حد ما ، بالرغم من تشابه ظروفهم والعوامل المؤثرة فيهم •

ان نقدنا للمحاولات التى تريد تفسير التاريخ بعامل واحد او عوامل قليلة ، والتي تريد استنباط قوانين تاريخية مبسطة لا يعنى اننا نطالب الا يكون لدارس التاريخ فلسفة ينظر منها الى الاشياء ، فعدم نضج علم النفس ، ونقص فلسفة التاريخ ينبغى الا يثبط الانسان ويولد فيه الياس والقنوط ، كلا بل لابد لكل انسان من نظرة او فلسفة ، ومن لا نظرة له يكون فاقدا اهم مظاهر الانسانية وطابعها المميز ، ولكننا نقول انه ينبغى ان تكون نظرة الانسان واسعة ، وافقه رحيبا ، وعقليته واسعة مرنة ، تقلب الامور ، وتختار ما تراه صحيحا

لا ما تريده ان يكون صحيحا ، وهذه الرحابة والمرونة وحب الحق ينبغي ان تكون المعيار في تفضيل دارسي التاريخ .

و – ثم انه مهما كانت الحقائق المتوفرة للمؤرخ صحيحة ، ومعلوماته مضبوطة ، وتقديره للروابط بين الاحداث صائبا ، فان تنظيمه لبحثه يتوقف قبل كل شيء على ذوقه الشخصي ومزاجه .

ز – واخيرا ان المؤرخ عند كتابته لبحثه يعتمد على اسلوبه الخاص ، فيختار بنفسه الكلمات التي يشاء ، ويصوغها بالجمل التي يريد ، ويفرغها بالاسلوب الذي يهوى ، فعرضه للموضوع فن صرف ، يعتمد على مزاج المؤلف قبل كل شيء ، ولن يكون الكتاب تاريخا ما لم يكتب بانشاء المؤلف واسلوبه ، فالكتاب المقتصر على مجرد الحقائق كتواريخ السنين او اسماء الاشخاص ، او يكون مليئا بالنصوص المقتطفة لا يعتبر كتاب تاريخ ، والالفاظ والصياغة في كل كتاب امر اساسي نفهم به الحقائق ، وهي كلها من عمل المؤلف : تعكس فهمه ومستواه .

اننا نعترف ان دراسة التاريخ لم تبلغ حد الكمال في الدقة ، وان طريقة بحث العلوم الرياضية والطبيعية ، وهي التي نسميها الطريقة العلمية لا يمكن تطبيقها حرفيا في دراسة التاريخ ، ولكن هذا ينبغي الا يكون مبعثا للياس والقنوط ، ولا سببا لترك دراسة التاريخ ، فان هذه الطريقة العلمية لا تزال تلقى مصاعب غير قليلة في دراسة معظم جوانب النشاط الانساني الاخرى ، كما انها لم توصلنا الى الآن ، وحتى في العلوم الرياضية والطبيعية الى الحقيقة

الكاملة ، فاننا يجب ا لاتخدعنا اوليات العلم التي نعترف بصحتها ، اذ ان اوليات الحقائق في التاريخ معترف بصحتها ، فلا جدال في وجود الخليفة هارون الرشيد والامين والمأمون ، ولا جدال ان عمر ولى الخلافة بعد ابي بكر ، ولكن المصاعب تأتى من التعمق في فهم الدقائق : فاذا كنا نجهل التفاصيل ونختلف في فهمها او تعليلها ، ونضطر في كل فترة ان ننكر ماكنا نراه من قبل صحيحا ، فان العلم ليس باحسن حال ، فما كشفه لايزال اقل مما يجهله في كل ميدان ، ثم انه حتى ما كشفه بتطبيق الطريقة العلمية من حقائق ، لا يمكن اعتبارها حقائق نهائية مطلقة بدليل ظهور نظريات جديدة باستمرار في مختلف ميادين المعرفة ، تنقض النظريات السابقة وتعدلها ، فما كان اسلافنا يعتقدونه حقائق ، اصبحنا اليوم نعرف انه خطأ غير صحيح ، فلماذا نعيب على التاريخ ما نراه من مفاخر العلم وميزاته .

ان كل هذه المشاكل ينبغى الا تثنينا عن دراسة التاريخ ، فهو دراسة الانسان على حقيقته ، يعرض الانسانية في حياتها وفي عملها وبشكلها الحقيقى ، فاذا كانت لنا مصاعب في دراسة حاضرنا من حيث معيشتنا فيه وانغمارنا به وتأثرنا باحواله ، مما يؤدي الى صعوبة فهم اوضاعه المتشابكة ، وحاضره المعقد ، ودوافعه ونتائجه غير الواضحة ، فان التاريخ للانسانية كالمختبر المبسط الذى تستطيع تحليل عناصره ، ووصف مظاهره بيسر نسبى ، وهو السبيل الرئيس ، ان لم يكن الوحيد ، لمعرفة عادات الامة وتقاليدها ، والعناصر المقومة لها والتى تعطيها ميزاتها الخاصة بها والتى تؤثر في اوضاعها واعمالها وآلامها .

واذا كان عدم وصولنا الى الحقيقة المطلقة مبعث انتقاص التاريخ، فانه ينبغي ان يكون مصدرا دافعا للبحث ، يعطى مجالا للفرد المطلع ان يبحث فيه ، فيصلح من اخطاء كتابته ، ويقربه الى الكمال ، فاذا كنا لما نصل الى الكمال بعد ، فان وجود النقص يعطى مجال العمل ، وادراك هذا النقص ينبغي ان يكون دافعا للبحث والتقدم ، فمعيار رقى الامة ، ومقياس حيويتها هو في مدى حماس ابنائها وسعيهم للوصول الى الكمال .

التفسير الماركسي للتاريخ

الدكتور جعفر حسين خصباك

— ١ —

تقوم الماركسية على قواعد ثلاثة هي فلسفة تسمى بالمادية الدايلكتيكية وتفسير للتاريخ يسمى المادية التاريخية ومجموعة من النظريات الاقتصادية تدور حول ما يسمى بفائض القيمة • وتفسير الماركسية للتاريخ ما هو الا جانب من جوانب الفلسفة المادية الدايلكتيكية أو هو نفس هذه الفلسفة مطبقة في حدود التاريخ • فالماركسية ترى ان العالم وحدة جوهرها المادة وأن الافكار انعكاس عن المادة وترى أن المادة حقيقة موجودة خارج أدراك الانسان ومستقلة عنه وليست ناتجة عن ادراكه وشعوره وهي لا تفهم العالم على أنه مركب من أشياء جاهزة تراكمت بصورة عرضية بل ككل ترتبط فيه الاشياء والحوادث ارتباطا عضويا وترى أن المادة ليست في حالة سكون وجمود بل في حركة تصاعدية مستمرة تمثل تطورا ينتج عن تغيرات كمية خفية ضئيلة تتجمع فتتحول الى تطورات نوعية محتمة تحدث بشكل قفزات وسبب ذلك ما في تكوين الطبيعة من تناقضات تتمثل في جوانبها الايجابية والسلبية القديمة والجديدة ما هو زائل وما يولد وينمو والمهم في نظر الفلسفة المادية الديالكتيكية ليس ما يبدو ثابتا وهو سائر نحو الفناء بل ما يولد وينمو والمادة في عرف هذه الفلسفة تتطور تبعا لقوانين الحركة الدايلكتيكية اي التناقضية التطورية التي هي صفة من

صفاتها ولذلك فهي ليست في حاجة الى عقل كلي أو بتعبير آخر الله .

وبما أن المادة هي جوهر الطبيعة والادراك والشعور ليسا الا انعكاس عنها فأن حياة الانسان المادية هي الاساس وحياته العقلية مشتقة منها والاحوال المادية هي التي تحدد طبيعة المجتمع ونظامه السياسي والفكري والقوة المحركة للتاريخ مادية هي أسلوب انتاج الحاجيات المادية وتوزيعها بما في ذلك قوى الانتاج وعلاقاته والانتاج بطبيعته اجتماعي لانه يتم داخل المجتمع وقوى الانتاج وعلاقاته ليست جامدة بل في تغير مستمر يؤدى حتما الى تغير النظام الاجتماعي بأسره بما فيه من نظم سياسية واجتماعية وفكرية وتاريخ المجتمع الانساني هو قبل كل شيء تاريخ تطور الانتاج بما فيه من قوى وعلاقات انتاجية وقوى الانتاج الجديدة وعلاقاته المطابقة لها لا تنشأ خارج المجتمع القديم بعد زواله بل في قلبه وقد مر التاريخ الانساني بخمسة مراحل أساسية لعلاقات الانتاج هي المشاعة البدائية والرق والنظام الاقطاعي والنظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي .

هذه خلاصة التفسير الماركسي للتاريخ مستمدة مما كتبه أحد ثقاتها وهو ستالين وهي في رأينا تمثل ما يريده كارل ماركس أحسن تمثيل .

أن تفسير الماركسية مثبت فيما وضعه ماركس وصديقه انجلس من كتب ورسائل عديدة ولكنه يتمثل بشكله النظري على أوضح ما يكون في المقدمة التي صدر بها كارل ماركس كتابه

(نقد الاقتصاد السياسى) ونجده مطبقا الى حد غير قليل في الفصول التاريخية من كتاب رأس المال ورسالة ماركس المعروفة باسم (صراع الطبقات في فرنسا) التي تتضمن تاريخ هذه البلاد بين ١٨٤٨ و ١٨٥٠ ودعنا هنا نقدم خلاصة لمقدمة كارل ماركس لكتابه (نقد الاقتصاد السياسى) لانها حجر الزاوية في تفسيره التاريخي :

« في الانتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس نراهم يقيمون علاقات محدودة لا غنى عنها ، وهي مستقلة عن أرادتهم وعلاقات الانتاج هنا تطابق مرحلة محدودة من تطور قواهم المادية في الانتاج والمجموع الكلي لهذه العلاقات يؤلف البناء الاقتصادي للمجتمع وهو الاساس الحقيقي الذي تقوم عليه النظم القانونية والسياسية تطابقها أشكال محدودة من الشعور الاجتماعي • فأسلوب الانتاج في الحياة المادية يعين الصفة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة • ليس شعور الناس هو الذى يعين وجودهم بل أن وجودهم هو الذى يعين شعورهم ، وعند بلوغ مرحلة معينة من تطور قوى الانتاج المادية في المجتمع نراها تصطدم مع علاقات الانتاج القائمة أو علاقات الملكية بالتعبير القانوني وبهذا تتحول هذه العلاقات الى أغلال تقيد تطور الانتاج وهنا تبدأ فترة انقلاب اجتماعي وبتغير الاساس الاقتصادي يتحول الصرح الاعلى الهائل بأسره وذلك بدرجات متفاوتة في السرعة • وفي بحث أمثال هذه التغييرات يجب دائما التمييز بين التغير المادي في أحوال الانتاج الاقتصادي التي يمكن تحديدها وتعيينها بالدقة التي يتميز بها العلم الطبيعي وبين الاشكال المذهبية سياسية أو دينية أو فلسفية وهي التي

يصبح الناس فيها على وعي وشعور بهذا الصراع ويتقاتلون من أجله وكما أن رأينا عن شخص لا يرتكز على رأيه عن نفسه كذلك لا نستطيع الحكم على فترة تحول كهـــذه بطريق ما تتميز به من وعي ، اذ بالعكس يجب بالاحرى تفسير هذا الشعور عن طريق المتناقضـــات التي في الحياة المادية ، وعن طريق الصراع القائم بين قوى الانتاج الاجتماعية وعلاقات الانتاج • لا يزول أي نظام اجتماعي أبـدا قبل أن تنمو كافة القوى الانتاجية التي يكون لها فيه مجال النمو ، ولا تظهر علاقات انتاج أعلى مرتبة من سابقتها قبل ان تنضج في طيـــات المجتمع القديم الاحوال المادية اللازمة لوجود هذه العلاقات ••••

أن التحول التاريخي من مرحلة الى أخرى ، كما ترى الماركسية أمر حتمي تقتضيه القوانين التاريخية وتمثل كل مرحلة تاريخيـــة طبقة اجتماعية تملك وسائل الانتاج وتسيطر على السياسة وتجعـل الحكومة لجنة تمثل مصالحها تسيطر بواسطتها على الطبقات المستغلة (بالفتح) وهي تخلق القيم والتنظيمات اللازمة التي تساعدها عـلى السيطرة وتنازع هذه الطبقة طبقة اخرى تمثل التطور الجديد في القوى والعلاقات الانتاجية الجديدة والتناقض بين الطبقتين أمر حتمي ينتهي بانتصار الطبقة الجديدة وسيطرتها وعلى ذلك فتاريخ المجتمع ليس الا تاريخ صراع ينتهي بانتصار الطبقة العاملة وقيام المجتمع اللاطبقي في ظل الاشتراكية •

أن أهم ما يمكن توجيهه من النقد لهذه النظريـــة يلخص فيما يأتي : ـ

أولا : ان الماركسية تقوم على قاعدة من الفلسفة المادية ترى أن المادة أزلية والحركة الدايلكتيكية او التطورية التناقضية صفة من صفاتها • المادة كما نعلم اصطلاح يعتمد ادراك طبيعته على التقدم العلمي الانساني وتحليل المادة علميا في الوقت الحاضر انتهى الى كونها ذرات تتكون من شحنات كهربائية يطلق تفجيرها قوة عظيمة فهي اذن ليست الا شكل من أشكال القوة تبدو لحواس الانسان على غير طبيعتها • يضاف الى ذلك أن علم الفلك الحديث كشف لنا أن الكون من السعة بدرجة لا يستطيع العقل الانساني تصورها وكل هذا يحملنا على التساؤل على الاقل عن مدى صحة ما يدعيه ماركس عن أزلية المادة وحركتها التى يراها جزء منها وعدم حاجتها الى عقل كلي •

ثانيا : ان الماركسية تجعل قوى الانتاج أساسا للحركة التاريخية وأهم ما في قوى الانتاج وسائل الانتاج كالفأس الحجرية والمحراث الخشبي والطاحونة الهوائية والمضخة البخارية والآلة الكهربائية ولم تظهر هذه الادوات الا نتيجة لتفكير الانسان وارادته وتصميمه ولذلك يقتضى الامر عكس المسألة واعتبار الفكر الانساني هو المحرك الاول للتاريخ لانه هو الذي يصنع أدوات الانتاج ويسير قواه • وعقل الانسان يمتاز بالذكاء والتبصر وهذا ما جعله قادرا على خلق حضارة بتغيير المحيط والسيطرة عليه •

ثالثا : لو استعرضنا تاريخ المجتمع الانساني منذ أول ظهوره حتى الآن لوجدنا ان قوى الانتاج لم يطرأ عليها تغير كبير الا منذ الثورة الصناعية التي تعود للمائتي سنة الاخيرة والا ما هو التغير في

قوى الانتاج الذى نقل الانسان من عهد الرق الى عهد الاقطـــاع وما هي قوى الانتاج الجديدة التى ظهرت خلال العهـــد الاقطاعي ونشأت حولها الرأسمالية ؟ واذا لم يحدث تبدل خطير في قـــوى الانتاج الا في القرنين الاخيرين فكيف نفسر احداث التاريخ خلال ألوف السنين الماضية من قيام دول وسقوطها ونشوء مدنيات وزوالها ولنتساءل مثلا عن نوعية التحول في قوى الانتـــاج الذى أدى الى ظهور المسيحية او الاسلام أو سقوط الدولة الاموية او العباســـية او الفاطمية أو غيرها من الاحداث الخطيرة .

رابعا : ان هذه النظرية تخضع الانسان لقوى عمياء هي قوى الانتاج فتلغى بذلك الدور الاساس الذي يلعبه الذكاء الانســـاني والارادة الانسانية او تنزل بهما نزولا كبيرا وتفعل مثل ذلك بالافكار الجديدة والرجال العظماء وهي تقوم على فرضية وجود قوانـــين تاريخية حتمية وجودها أمر مشكوك فيه على الاقل لان مثل هـــذه القوانين تتضمن الغاء لحرية ارادة الانسان التى هى ميزة أساســية من مزاياه وقد أشار فردريك أنجلز الى ذلك بعبارات نقتطف منها ما يـأتي : ـ

(في تاريخ المجتمع ... نجد جميع الذين يقومون بأدوارهم فيه كلهم ذوو وعي وشعور فهم أناس يعملون بعزم ويســـعون الى تحقيق اهداف محدودة ، فليس من شيء يحدث الا اذا كان لـــه هدف شعوري مقصود . ولكن هذا التمييز لا يمكن ان يغير الحقيقة وهي ان سير التاريخ تحكمه قوانين عامة داخلية .

هنا ايضا وبوجه عام نرى ان الصدفة تسود في ظاهرية الاشياء وذلك برغم الاهداف التي يسعى اليها الافراد عن وعي وقصد فنادرا ما يحدث ما نريده أذ في أغلبية الحالات نجد ان الغايات المرغوب فيها تتعارض لواحدة مع الاخرى وهكذا نرى ان تضارب الارادات والافعال الفردية التي لا عد لها في ميدان التاريخ تنجم عنه حالة مشابهة .. الخ .

ويقول كارل ماركس في رسالة بعث بها الى ف . أنكوف في ٢٨ كانون الاول ١٨٤٦ :

« ... فالمجتمع مهما كان شكله ؟ أنه وليد الفعل المتبادل الذي يقوم به الناس . وهل لهم حرية اختيار هذا الشكل او ذاك من المجتمع لانفسهم ؟ لا ، بكل تأكيد .. اذا فرضت وجود حالة معينة من التطور في القوى الانتاجية لديك شكل معين من أشكال التجارة والاستهلاك ، يطابقه نظام اجتماعي ، وتنظيم للاسرة والطبقات ... الخ » .

ويقول انجلز في رسالة بعث بها الى هينز ستار كنبرج في ٢٥ كانون الاول ١٨٩٤ :

« ... يصنع الناس تاريخهم ولكنهم لا يفعلون ذلك طبقا لارادة جماعية أو حسب خطة جماعية او حتى في مجتمع معلوم محدود . فجهودهم تتضارب ، ولنفس هذا السبب نجد ان أمثال هذه المجتمعات تتحكم فيها الضرورة التي تكملها الحوادث العارضة كما ان هذه الضرورة تبدو بشكل حادث عارض هذه الضرورة التى

تثبت فعلها ووجودها هي ضرورة اقتصادية أولا ، وهنا يقع عبء الدور على الذين يعرفون باسم العظماء اذ يتقدمون لمعالجة هذه الضرورة . ان ظهور شخص ما في وقت معين وفي بلد معلوم ، أمر عرضي أو هو صدفة محضة . ولكن اذا ابعدناه نشأت الحاجة الى بديل يحل محله ، سيوجد هذا البديل سواء كان حسنا ام رديئا ، ولكنه سيوجد في الاجل الطويل ... الخ) .

خامسا : أن مفهومة الماركسية عن الطبقة مصطنعة فالطبقة تظهر في كتابات كارل ماركس وكأنها كائن حي له عقله ووعيه وارادته وأهدافه الواضحة التي يسعى هنا وهناك لتحقيقها وهي تعمل في التاريخ كوحدة وتنتج أفكارها ومعتقداتها كوحدة وتعمل تحت ضغط موقعها الاقتصادي ولا يبدو أثر الفرد الا كعضو في الطبقة لان أفكاره في أساسها تكونها الطبقة وقد تكلم كارل ماركس عن الفترة الذي يسود فيها النظام الرأسمالي عن طبقتين بورجوازية وعمالية وأشار الى الفئات الاخرى وكأنها خاضعة لهما تسير طبق هواهما . والحقيقة ان الطبقة أصبحت في العصر الحديث مصطلحا غامضا مصطنعا الى حد كبير فأساس التقسيم الطبقي قد يكون المورد المالي أو نوع الحرفة أو الثقافة أو أسلوب الحياة او النسب العائلي أو أكثر من واحد من هذه المقاييس سوية فالمزارع الغني قد يتفوق على الموظف الكبير من حيث المورد المالي ولكنه يتأخر عنه من حيث الثقافة وأسلوب الحياة والنفوذ والعامل الفني يفضل ان يعد بين أفراد الطبقة الوسطى وان كان في حرفته وأسلوب تفكيره وحياته من العمال وصغار الكسبة وأهل الحرف المستقلة يرفضون ان

يعدوا من العمال . لذلك اذا اخذنا أيا من هذه المقاييس وحدة انتهينا الى نتائج متضاربة متعاكسة تدل على أن الطبقة ليست بالمفهومة الواضحة المستقرة .

سادسا : أن مفهومة الماركسية عن كفاح الطبقات قاتمة سوداء تجعل التاريخ كله حربا أهلية مستمرة وسفكا دائما للدماء ولو كان التاريخ حرب طبقات لما بقي هناك تاريخ اي لقتل الانسان أخاه الانسان وانقرضت المدنية منذ أول نشأتها ولكن التقدم المستمر الذي أحرزه الانسان خلال آلاف السنين وتغلب الصفة القبلية أو المدنية أو القومية أو الدولية على الحرب وندرة الحروب الطبقية دليل واضح على فساد هذه النظرية والحقيقة أن مفهومة الطبقة والصراع الطبقي تمثل جوهر الماركسية وميزتها الاولى التي تصبغها باللون الاحمر وقد كتب ماركس وانجلز في البيان الشيوعي : (ان تاريخ كل مجتمع الى يومنا هذا لم يكن سوى تاريخ نضال بين الطبقات فالحر والعبد والنبيل والعامي والسيد الاقطاعي والقن ورئيس الحرفة والصانع اي المضطهدون والمضطهدون كانوا في تعارض دائم وكانت بينهم حرب مستمرة تارة ظاهرة وتارة مستترة ـ حرب كانت تنتهي دائما اما بانقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره وأما بانهيار الطبقتين المتناضلتين معا .)

أن مفهومة كارل ماركس عن الصراع الطبقي مصدر لاثارة الاحقاد والكراهية بين أفراد الامة الواحدة وسبب في تقسيمها الى فئات مصطنعة تحجز بينها اسلاك شائكة حيث يمتنع اي تعاون بين افرادها وتحاول طائفة منها ان تمحو او تخضع الطوائف

الاخرى لمصالحها ونفوذها وقد أثبتت الرأسمالية خلال المائة سنة الاخيرة انها تستطيع التوفيق بين من يسميهم ماركس مضطهدون ومضطهدين بجمع العمال وأصحاب الاعمال سوية للمفاوضة فيما يتعلق بشؤونهم المشتركة من جهة وبتحديد ساعات العمل وتحسين ظروفه ووضع حد ادنى مقبول للاجور ومنح نقابات العمال الحق في تمثيل العمال وأنشاء ضمان اجتماعى • يضاف الى ذلك أن التجربة المركسية الحديثة خلال أربع وأربعين سنة أثبتت عدم صحة ما ذهب اليه ماركس في أقامة مجتمع لا طبقي في ظل الاشتراكية لان النظام المذكور لم يستطع ان يلغى الاساس الحقيقي الذي تقوم عليه الطبقات وهو التفاوت الطبيعي في قابليات الافراد وميولهم ونشاطهم الذي ينتج تفاوتا في الاجور وأسلوب الحياة والمركز الاجتماعي فأولاد مدراء المزارع الجماعية ورؤساء المعامل وكبار المهندسين والفنانين يعيشون في ظروف هي أفضل بكثير من أولاد الفلاحين والعمال وصغار الموظفين للتباين الكبير بين أجور آباء اولئك وهؤلاء مما سهل امام الاولين مجال دخول الجامعات والتخصص بالمهن العالية المربحة والمراكز الكبيرة والحقيقة ان الماركسية استطاعت ان تلغي طبقات من تسميهم مستغلين (بالكسر) لتخلق مكانهم طبقة مستغلة جديدة تسيطر على كل شيء من اقتصاد الى فكر الى سياسة الى دين ، طبقة مستغلة تمتع بنفوذ ما شهد له التاريخ مثيلا •

— ٢ —

أن كارل ماركس يشبه هيجل بنظرته العقلانية للتاريخ في أنه لا يخضع للصدفة بل لمحرك واحد معين يسير به في خطوات رتيبة تنتهي بأهداف محدودة معينة وبينما يرى هيجل أن الفكر او العقل المطلق هو المحرك يرى ماركس أنه قوى الانتاج وعلاقاته • يضاف الى ذلك أن ماركس يرى ان التاريخ وحدة متصلة فليس هناك تاريخ سياسي وآخر اجتماعي أو اقتصادي بل تاريخ انساني واحد لا يكون وحدة عضوية لكل جزء منها حياته وكيانه بل قوة واحدة تدور حول محور واحد هو الحياة الاقتصادية اما المظاهر الاخرى فأنها خاضعة لها •

وكارل ماركس لم يكن منطقيا في جميع افكاره ولم تكن نظرياته تنسجم مع بعضها في كل واحد اذا ما دققنا فيها جيدا ولم يكن هو ولا صديقه انجلز يهتمان بتوفر الانسجام اللازم في كتاباتهما • ومثال ذلك أن نظريته الاساسية في أن المادة تتحرك حركة تطورية مستمرة وأن جميع الاشياء والحوادث تحوي تناقضات داخلية تسبب هذه الحركة ، تصطدم مع رأيه في أن التطور التاريخي ينتهي حتما بالاشتراكية وقيام المجتمع اللاطبقي فكيف يقف التاريخ الانساني عند هذا الحد وما هو المحرك له بعد سيادة الاشتراكية وهل يمكن زوال التناقضات نهائيا في ظل النظام الاشتراكي وكيف نفسر الصراع الدموي الذي ينشب بين الحكام الاشتراكيين في الدولة الواحدة وثورات العمال والفلاحين عليهم •

أن ايمان كارل ماركس وأتباعه بحتمية انتصار الاشتراكية ليس من العلم في شيء بل هو عقيدة دينية تصاحبها نفس العواطف والاحاسيس والمراسيم التي يتميز به الدين والحقيقة ان كارل ماركس ما كان يسعى الى كشف حقيقة التاريخ في تفسيره المادي له بل يقصد الى وضع نظرية يستند اليها منهاج ثوروي يستهدف القضاء على الرأسمالية والطبقات البورجوازية وأحلال الاشتراكية وطبقة العمال محلها • بينما يشير تاريخ السنين الاخيرة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية الى ان طبقة العمال التي يتجه اليها جل تفكير كارل ماركس تسير نحو الذوبان نتيجة للتقدم التكنيكي والعلمي فالتصنيع يتجه الآن الى الاوتوماتيكية والتنظيم العلمي للعمل وهذا يؤدي الى انخفاض الحاجة الى العمال غير الماهرين والاكتفاء بمهندسين وخبراء فنيين قليلي العدد يشرفون على المصانع الاوتوماتيكية بمساعدة بعض العمال كما أن تركيب المجتمع نفسه آخذ بالتغير لازدياد نسبة اصحاب الحرف العالية التي تحتاج الى ثقافة ، كالمعلمين والمهندسين والاطباء وانخفاض نسبة العمال والفلاحين فيه وقد تحقق ذلك في المجتمعات الغربية المتقدمة في ظل الرأسمالية •

تبدو العوامل الاقتصادية في الكثير من كتابات ماركس وانجلز وهي المسببات الوحيدة للاحداث التاريخية ومثال ذلك ماكتبه ماركس في كتاب رأس المال من فصول تاريخية شرح فيها ظهور الرأسمالية في أوربا في أواخر القرون الوسطى وعزا قيام حركة الاصلاح الديني التي انتهت بالبروتستانية الى عوامل اقتصادية وفعل أنجلز مثل ذلك في كتابه (أصل العائلة والملكة الفردية والدولة) ففسر

ظهور هذه المؤسسات وتطورها بأسباب اقتصادية وذهب تلاميذ ماركس وانجلز مع هذا الاتجاه الى غايته ففسروا كل شيء باسباب اقتصادية وصلت بهم الى حد السخف وقد أحس انجلز في أيامه الاخيرة بعد وفاة كارل ماركس بخطأ هذا الاتجاه فتراجع عنه في سلسلة من الرسائل كتبها بين ١٨٩٠ و ١٨٩٤ ومن ذلك انه كتب في رسالة الى يوسف بلوخ في ايلول ١٨٩٠ :

« تنظر المادية في تفسير التاريخ الى الانتاج والانتاج المتجدد على أنه العنصر الاول في تعيين مجرى التاريخ وأحداثه ولم يقل كلانا ـ ماركس وأنا ـ شيئا أكثر من هذا فأذا قام أحد بتحوير دعوانا الى القول بأن العنصر الاقتصادي هو الوحيد الذي يعين سير التاريخ ، فأنه بعمله هذا يجعل من نظرتنا عبارة عديمة المعنى ، مجردة وسخيفة . ان المركز الاقتصادي هو الاساس ، ولكن العناصر المتنوعة التي يتكون منها الصرح العلوي كالاشكال السياسية التي يتخذها نضال الطبقات..والدساتير التي تضعها الطبقةالفائزة.. أي اشكال القانون ، وهي الصور الذهنية التي تعكسها هذه العوامل في أدمغة المحاربين كالنظريات السياسية والدينية والفلسفية والافكار الدينية ... هذه كلها لها أثرها في مجرى نواحي الصراع التاريخي بل وفي كثير من الحالات تكون لها الغلبة في تعيين شكله . هناك علاقة متبادلة بين كافة هذه العناصر . وفي النهاية نجد الحركة الاقتصادية تثبت أنها العنصر الضروري في وسط جمع لا نهاية له من العوامل العرضية ... الخ » . وفي رسالة أخرى كتبت في كانون

الثاني ١٨٩٤ ، وسع انجلز العامل الاقتصادي في التاريخ فأدخل ضمنه الظروف الجغرافية ومخلفات النظام الاقتصادي وبقاياه في المراحل المتقدمة كما أدخل ضمنه العنصر أو الجنس :

«اننا نعد الاحوال الاقتصادية الاساس الذي يعين تاريخ المجتمع والذي نفهمه من هذه الاحوال الاقتصادية انها الاساليب التي تمكن الناس في مجتمع معلوم من أنتاج وسائل عيشهم وتبادل المنتجات فيما بينهم (وذلك بالقدر الذي يوجد فيه تقسيم العمل) ولذلك فهذا يشمل العنصر الفني في الانتاج . وحسب نظريتنا يعين هذا العنصر الفني ايضا طريقة التبادل ثم تقسيم المنتجات والى جانبه ـ بعد انحلال المجتمع القبلي ـ الانقسام الى طبقات ... وتشمل الاحوال الاقتصادية كذلك الاساس الجغرافي الذي تعمل فيه كما تشمل مخلفات وبقايا التقدم الاقتصادي في المراحل المتقدمة ... اننا نعتبر الاحوال الاقتصادية العامل الذي يعين قبل كل شيء التطور التاريخي ، ولكن الجنس نفسه عامل اقتصادي ... الخ » .

وأخيرا أننا اذا أخذنا التفسير الماركسي للتاريخ على أنه يعني ليس اكثر من أن الاحوال الاقتصادية عامل موجه أساسي لحياة الانسان وتاريخه فأنه لا علاقة لهذه النظرية بالاشتراكية والشيوعية فيمكن للانسان أن يكون فرديا يتمسك بالملكية الفردية ويكون ماركسيا في نفس الوقت لان الرأسمالية تؤكد على أولية العامل الاقتصادي أيضا ولكننا اذا سرنا مع ما يسعى اليه كارل ماركس في تفسيره للتاريخ وهو نزع الملكية الفردية والقضاء على ما يسميه البورجوازية والرأسمالية انتهينا حتما الى الاشتراكية والشيوعية .

التفسير الاقتصادي للتاريخ

كتبه الدكتور ياسين عبدالكريم

انشأ سكان العراق القدماء من السومريين والاكديين والبابليين والآشوريين وغيرهم حضارة اصيلة شملت معرفة الزراعة والصناعة والتجارة ، وتنظيم المجتمع والدولة ، وعرفوا بعض انواع العلوم ، ودونوا اعمالهم على الطين والآجر والحجر ، كما انهم ساهموا في تكوين الحضارة العالمية في العصور القديمة ، ولهذا وجب الاهتمام بهم وبمعالمهم • وفي العصور الوسطى ظهر الرسول محمد (ص) ونشر الدين الاسلامي الحنيف ، ثم نشأت الدول الاسلامية واصبحت بغداد مركزا للسياسة والثقافة والحضارة في العهد العباسي • وقد اهتم مؤرخو العرب بتسجيل ما لاحت لهم اهميته في الناحية السياسية والثقافية والدينية والاقتصادية ، وخطا البعض منهم كالواقدي والطبري وابن خلدون خطوات هامة في جمع الروايات وتصنيفها ثم عرضها بشكل نالوا عليه تقدير واعجاب المؤرخين في عصرنا هذا ، فكم جدير بنا الاهتمام بهذا التراث ودراسته وانمائه •

اختلف المؤرخون حول غاية التاريخ ، فادعى البعض منهم ان غايته الوصول الى الحقائق وعرضها بطريقة موضوعية تشبه الحياة الحقيقية قدر الامكان • فاذا كانت هذه هي غاية التاريخ فلا حاجة اذن للبحث عن تفسيره ، اذ ان عرض الحوادث لا يمكن ان يكون غاية بذاته ، حيث لا يمكن للتاريخ ان يكون غاية في نفسه ، فلابد للباحث من اثارة اسئلة كثيرة حول تلك الحوادث مثلا لماذا ؟ وما

هي ؟ وبتعبير آخر محاولة بيان اسباب حصول الحوادث ولماذا حدث التاريخ كما حصل واتخذ الشكل الذي تراءى لنا به ويكون الباحث حين ذاك قد انتقل من العرض الى التفسير •

اهتم المسلمون بتفسير القرآن وفسروا القرآن بالقرآن ، اى فسروا الآية بدلالة الآيات الاخرى والتجأوا عند الحاجة الى السنة واقوال الصحابة والتابعين • روى ابن عباس عن رسول الله (ص) « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده في النار » لانه يكون قد تكلف مالا علم به ، وسلك غير ما أمر به ، او يكون كمن حكم بين الناس على جهل ، فاعتبر العلم اساسا للتفسير •

وفي العلوم الطبيعية تفسر الظواهر الطبيعية تفسيرا كميا محكما واسطته المعادلات والقوانين الرياضية • وفي العلوم الاجتماعية يتأثر الباحث بميوله واهدافه ، فاذا ما فسر المؤرخ الحوادث التاريخية حسب نظرية او عقيدة معلومة سابقة يكون قد اتبع بذلك فلسفة تاريخية معينة وخرج عن الحياد العلمي وانحاز الى مبدء او جهة خاصة كان يعتقد بها •

اما اذا حاول بذل الجهد لفهم جذور الحوادث التاريخية وادراك تسلسلها قاصدا من ذلك التوصل الى اسبابها ونتائجها ومن ثم بيان قيمتها واهميتها ، وبتعبير آخر اذا اراد ايجاد الرابطة او العلاقة بين البداية والنهاية ، وطبق ذلك على غيرها من الحوادث غير متأثر بمعتقده ، ثم وضع تعميمات ونظريات لفهم الماضى والحاضر والتنبؤ بالمستقبل ، يكون بذلك قد سلك مسلك الاجتهاد في هذا

الشأن وفسر التاريخ تفسيرا حياديا .

ولا شك ان من يتصدى لهذا النوع من العمل يجب ان يكون غير مقيد بهواه ، وواسع الاطلاع بالمعرفة البشرية كاللغة والجغرافيا، والسياسة والاقتصاد ... الخ . حتى يتمكن من فهم الماضي وتفسيره استنادا الى الحقائق التاريخية المتوفرة لديه ومستعينا بالآراء العلمية السائدة .ان البحث التاريخي المستمر قد يغير او يكمل بعض المعلومات التاريخية او يكتشف معلومات جديدة لذلك يهتم البعض على الدوام بدراسته وتفسيره على ضوء احدث الحقائق والآراءالعلمية المقبولة . ومن هنا تحدث الاختلافات في كتابة التاريخ وتفسيره بتأثير المذاهب الفلسفية والآراء الحزبية والنظريات العلمية والاختلافات الطائفية القائمة ، فتتوسع بذلك شقة الخلاف بين افراد الجيل ويزيد من قلقهم ، كما بين ذلك تشارلز فرنكل بتعبيره « ... عندما ننظر الى ازمة عصرنا الحاضر من الناحية العقلية نجدها ازمة اساسها تفسيرنا للتاريخ ـ بل اساسها ، على التخصيص ، الموقف الذي يجب ان نتخذه من تفسيرنا اللبرالي الحر للتاريخ الحديث»[1] ، لذلك لا ستغرب للآراء المتشعبة حول تفسير التاريخ ، فمنهم من فسره تفسيرا دينيا ، او جغرافيا ، او مثاليا ، او تاريخيا ، او عقليا ، او ماديا ، او اقتصاديا ... الخ .

فماركس قد اعتبر القوة المنتجة اساسا للمجتمع وجعل النظام الاجتماعي مشتقا منها وزعم ان تغير قوى الانتاج او بتعبير آخر حصول تقدم في آلات الانتاج يؤدي الى تقدم المجتمع وعلى هذا تكون التكنولوجيا القوة الدافعة للتاريخ .

اما في التفسير الاقتصادى للتاريخ فيعتبر الانسان كائنا اجتماعيا له حاجات بيولوجية ورغائب نفسية فهو يحتاج الى الطعام واللباس والمسكن والمجتمع ، لذلك يعمل بايحاء هذه الدوافع لتأمين حاجاته واشباع رغباته ، وقد عمل خلال الادوار التاريخية لسد هذه الحاجات التى اخذت تزداد بتقدم المدنية ووفرة الانتاج ونشوء الكماليات ووسائل الراحة والتسلية وغيرها • لذا اعتمد البشر في المرحلة الاولى من حياته على الطبيعة في سد حاجاته فجمع خيراتها ثم امتهن الصيد وتعلم رعى الحيوانات والزراعة والصناعة والتجارة تطمينا لرغائبه ، كما انه اوجد النظم السياسية التى تؤمن له التقدم في هذا الباب وبذلك نشأت المجتمعات وزادت الحاجة الى الانتاج •

ففى التفسير الاقتصادى للتاريخ تعتمد قوة الافراد الاقتصادية في داخل الدولة على القوانين والانظمة التى تصدرها الدولة والتى لها القوة الالزامية ، وعلى قابلياتهم للعمل والانتاج • وتعتمد القوة الاقتصادية للحكومات على مواردها الطبيعية ومدى استغلالها لها وقد اكد بعض الباحثين في هذا الموضوع ومنهم برتراند رسل ، على اهمية القوة العسكرية ، وعلى احترام الحكومات الاخرى للمعاهدات والقانون الدولى[٢] • وفي الدول الصناعية تتمركز القوة الاقتصادية في الشركات الممثلة في مدرائها ، حيث تتألف الشركة من مئات او آلاف من المساهمين العاديين الذين ليس لهم صوت عملى في ادارة الشركة وان كانوا يتمتعون بحق الانتخاب السنوي • وقد يتألف

(٢) برتراندرسل (عبدالكريم احمد وعلى ادهم) القوة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ٩٣

مجلس الشركة من الخبراء ويكون لمدير الشركة شأن مهم في توجيهها وفي ممارسة قوتها الاقتصادية ، وقد يكون المدير خبيرا اقتصاديا ، او مساهما فيها ، او يكون سياسيا اختير للاستفادة من نفوذه وفي هذه الحالة تندمج القوة الاقتصادية مع السياسة ويتمتع المدير عند ذلك بقوة اكبر (٣) .

يؤمن التفسير الاقتصادى للتاريخ ان عوامل التاريخ معقدة ومتفاعلة ويعتبر العامل الاقتصادى احد العوامل المهمة في سير التاريخ الا ان اثره لا يخلق اعتباطا . لقد حصلت الثورة الصناعية في انكلترا بين ١٧٦٠ - ١٨٣٠ ومنها امتدت الى أوربا ، وسببت هذه الثورة زيادة في الانتاج ونشوء المعامل وظهور المشاكل الاجتماعية . وقد علل المؤرخون اسباب قيام هذه الثورة في انكلترا بعوامل مختلفة منها موقع انكلترا الجغرافي ومناخها الرطب المنعش ووجود الفحم والحديد معا ، وتوفر الاصواف وظهور المخترعات في صناعة المنسوجات الصوفية . ان ما بيناه مهم ومفيد لدرجة ما ولكن يا ترى لماذا لم تكن هذه العوامل الجغرافية وغيرها سببا لظهور الثورة مع وجودها سابقا . كانت انكلترا في بدء العصور الحديثة بلادا زراعية، وادت الحروب الداخلية كحرب الوردتين وحركة الاصلاح الدينى وثورة البيورتان الى تبلبل الحالة ، الا ان نجاح الثورة الجليلة واعلان لائحة الحقوق في سنة ١٦٨٩ وظهور نظام مجلس الوزراء ونمو حرية الفرد وتبلور حرية التملك دفعت الفرد الانكليزى النابه للعمل والابداع العلمي والفني فتمكن من استغلال موارد بلاده

(٣) المصدر السابق ، ٩٧ - ٩٨ ص .

الطبيعية ، وبتفاعل هذه العوامل قامت الثورة الصناعية التى تعتبر اهم حدث اقتصادى في العصور الحديثة لا بل في التاريخ البشـــرى اجمع .

يظهر اثر العامل الاقتصادى بوضوح في قيام الاستعمار الحديث وذلك للحصول على المواد الاولية كالصـوف والقطـــن والاخشاب والنفط واليورانيوم ، والاســـواق واستثمار رؤوس الاموال فيها ، وتدل الابحاث التاريخية بان كلا من التوازن الدولى والحصول على المناطق الاستراتيجية والتبشير قد لعب دورا مهما في نشر الاستعمار. ومن الاسئلة المعتادة في هذه الدراسة هل التجارة تتبع العلم ام العلم يتبع التجارة مما يشير على اختلاف الآراء في هذا الموضوع . يعتبر الماركسي الحرب العالمية الاولى حربا استعمارية ودليلا على انهيـــار الرأسمالية بينما يبحث المؤرخ الاقتصادى عن اثر العامل الاقتصادى ويجد ان المصالح التجارية كانـت تستوجـب التعاون بـين انكلترا والمانيا ، وبين المانيا وروسيا وان المحالفات الدولية والروح العسكرية والقومية العدائية وغيرها لعبت دورا اكثر أهمية من العامل الاقتصادى فبذا يذعن لمنطق الحوادث ، وكذلك لا يتردد في تقرير اثر القـوة السياسية في الثورة الشيوعية في ١٩١٧ واستعمال سيطرة الدولـــة للتغلب على النظام الاقتصادى القائم آنئذ .

وبالاستناد الى ما ذكرناه ولضيق الوقت نقول :ـ

١ ـ ان التفسير الماركسي تفسير ميكانيكى للتاريخ يؤكد على اهمية العنصر الآلي وبهذا الشأن يقول ماركس تخلق الطاحونـــة

البدوية المجتمعات الاقطاعية وتخلق الطاحونة البخارية المجتمعات الرأسمالية ، بينما يؤكد التفسير الاقتصادى على نشوء المؤسسات والمجتمعات وعلى دراسة التاريخ الاجتماعى ويعتبر التاريخ الاقتصادى جزء من التاريخ العام الا انه يهتم بدراسة الانتاج وبتاريخ الزراعة والصناعة والتجارة والبنوك والاستثمار والاستهلاك وغيرها من نشاط الانسان الذى له علاقة باكبر عدد ممكن من السكان .

٢ - يؤمن التفسير الماركسي بالجبرية الاقتصادية حيث يسير الانسان بموجبها الى مصيره المحتوم وبذلك يشبه بالمسافر الذى يسافر بالقطار الى اتجاه معروف ومعلوم لاخلاص منه ، وقد فسر ماركس ذلك المصير المحتوم بانهيار الرأسمالية وقيام الاشتراكية ودكتاتورية العمال ، وعلى هذا اعتبرت الماركسية الفرد آلة في المجتمع . بينما يعتبر التفسير الاقتصادى الفرد انسانا له قابليةللابداع والاختراع والتكييف ، ويعتبر التملك غريزة ومن ضروريات المحافظة على الحياة ، ويمكن من دراسة الماضى فهم الحاضر ووضع الخطط للمستقبل . .

٣ - يؤمن التفسير الماركسي باثر العامل الواحد The Monist View of History لذلك فهو تفسير مثالى فلسفي ، لم يأت نتيجة لدراسة الاحداث التاريخية بل افترض سلفا لتبرير آراء سياسية لم تثبت صحتها علميا بل سميت اعتباطا بالتفسير العلمي ، بينما يؤمن التفسير الاقتصاديباهمية وأثر العاملالاقتصادي فيعطى له اهمية بقدر ما تسمح الحوادث المباشرة على ذلك ولا يلجأ

الى اساليب ملتوية وتعليلات غير واقعية في هذا الشأن بل يستند على الدراسة والبحث التاريخي بضمنها الاحصاء ونظريات الاقتصاد ولا يتردد في تغيير آرائه ان دلت الحوادث على ذلك وبذلك يكون بحثه علميا او يحاول على الاقل ان يكون علميا .

الدكتور صالح أحمد العلي

ولد في الموصل سنة ١٩١٨ واتم فيها الدراسة الابتدائية والمتوسطة ، ثم تابع دراسته في بغداد ، بدار المعلمين الابتدائية ، ثم في دار المعلمين العالية ١٩٣٧ - ١٩٤١ حيث نال شهادة الليسانس بدرجة الشرف ، وعين مدرسا في متوسطة البصرة ، وفي المتوسطة الغربية ببغداد ، ثم أرسل ببعثة علمية الى جامعة فؤاد الاول في القاهرة (١٩٤٣ - ١٩٤٥) فنال درجة الليسانس بامتياز ، واكمل دراسة الدكتوراه في جامعة اكسفور (١٩٤٥ - ١٩٤٩) باشراف المستشرق الانكليزي المعروف السر هاملتون جب . ولما عاد الى بغداد عين في كلية الآداب والعلوم مدرسا ثم استاذا مساعدا ، ثم استاذا ، حيث لا يزال في هذه المرتبة . وقد عين رئيسا لقسم التاريخ فيها مرتين ، وهو اليوم رئيس قسم التاريخ في تلك الكلية .

وفي خلال فترة تدريسية قضى سنة في جامعة هارفرد (١٩٥٦ - ١٩٥٧) متمتعا بزمالة ، وحضر مؤتمر المستشرقين الامريكيين في برنستون (١٩٤٧) ومؤتمر المستشرقين في ميونيخ (١٩٥٧) ومؤتمر تاريخ آسيا في دلهي (١٩٦١) كما حضر حلقات لتدريس العلوم الاجتماعية في دمشق (١٩٥٥) وللخدمات الاجتماعية في دمشق (١٩٥٤) وفي بغداد (١٩٥٨) وفي دراسة العرب للادب العربي في بيروت (١٩٦٠) وكذلك العيد الالفي لابن سينا (بغداد ١٩٥٤) .

وقد نشر اطروحته في الدكتوراه عن « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري » (١٩٥٤) و « محاضرات في تاريخ العرب » (١٩٥٥) .

انشر ابحاثا عن « خطط البصرة » (سومر ١٩٥٣) وعن « احكام الرسول في الاراضي المفتوحة » و « استيطان العرب في خراسان » (في مجلة كلية الآداب ببغداد) و « ما ساهم به العرب في المائة سنة الاخيرة في دراسة تاريخ الادب العربي » (طبع ضمن كتاب « الادب العربي في آثار الدارسين ») .

ونشر كذلك عدة مقالات وبحوث في مجلة الكتاب المصرية ، ومجلة المعلم الجديد العراقية .

ونشر باللغة الانكليزية بحثا عن « الملكيات في الحجاز أبان القرن الاول الهجري » (مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق) ١٩٥٨ وعن « خطط المدينة في القرن الاول الهجري » (مجلة الثقافة الاسلامية ١٩٦١) .

وكتب في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية عدة مقالات عن « عريف » « عوانة بن الحكم » « البطائح » « دير الجماجم » « دير قره » .

وترجم الى العربية محاضرات الاستاذ رنسمان عن « المدينة البيزنطية » و « الحروب الصليبية » وكذا « تركيا الفتاة » لرامساور . وفصل عن التاريخ في « مرشد المتعلم » ، وكتاب « علم التاريخ عند المسلمين » لروزنثال .

الدكتور عبدالعزيز الدوري

علم من اعلام التاريخ الاسلامي وصاحب مدرسة تتميز بـه بين الباحثين بالدقة والعمق وسعة الاطلاع • والدراسة الاقتصادية في فهم التاريخ •

بعد ان حصل على الثانوية من بغداد سافر الى لندن فحصل على البكلوريس بشرف من جامعة لندن سنة ١٩٤٠ وبعدها حصل على الدكتوراه عام ١٩٤٢ ولما عاد الى بغداد عين مدرسا للتاريخ الاسلامي في دار المعلمين العالية وبقي حتى وصل الى درجة استاذ وفي عام ١٩٤٩ اشتغل مديرا للترجمة والنشر في ديوان وزارة المعارف وثم عميدا لكلية الآداب والعلوم من ١٩٤٩ – ١٩٥٨ ولا يزال استاذ للتاريخ الاسلامي فيها ورئيس قسم التاريخ الموحد في جامعة بغداد •

ولم تقتصر جهود الدكتور العلمية على بلاده انما اشتغل استاذا زائرا في جامعة لندن سنة ١٩٥٥ – ١٩٥٦ واستاذا زائرا في الجامعة الاميركية في بيروت ١٩٥٩ – ١٩٦٠

وللدكتور الدوري مؤلفات عديدة منها :

١ – العصر العباسي الاول طبع في بغداد ١٩٤٣

٢ – دراسات في العصور العباسية المتأخرة – بغداد ١٩٤٥

٣ – مقدمة في تاريخ صدر الاسلام – بغداد ١٩٥٠
وقد اعيد طبعه في بيروت ١٩٦١

٤ – تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري بغداد ١٩٤٨

٥ ـ النظم الاسلامية جـ ١ ـ بغداد ١٩٥٠

٦ ـ دراسات في علم التاريخ عند العرب ـ بيروت ١٩٦٠

٧ ـ الجذور التاريخية للقومية العربية ـ بيروت ١٩٦٠

وقد ساهم مساهمة فعالة في نشاط التاريخ العالمي فكتب عدة أبواب في دائرة المعارف الاسلامية في طبعتها الجديدة ، فكتب في (بغداد) و (الانبار) و (عامل) و (أمير) و (ديوان) وغيرها مما يجده الباحث متسما بالدقة والعمق وما يزال نشيطا دائبا على العمل بصبر وجلد وصمت وقد اتم اخيرا (الجذور التاريخية للشعوبية) .

الدكتور جعفر حسين خصباك

من مواليد مدينة الحلة تخرج في دار المعلمين العالية (بغداد) في ١٩٤٦ ودرس مدة بضعة أشهر في ثانوية الحلة ثم سافر منها الى القاهرة حيث درس التاريخ في جامعة (فؤاد الاول) لبضعة اشهر التحق بعدها في جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة فحصل هناك على الماجستير في التاريخ من جامعة كاليفورنيا في بركلي • ثم انتقل الى جامعة شيكاغو حيث نال فيها درجة الدكتوراه في ١٩٥٢ • وعين مدرسا في كلية الآداب والعلوم (بغداد) في ١٩٥٢ وهو الآن أستاذ مساعد للتاريخ في جامعة بغداد يدرس تاريخ القرون الوسطى الغربية والتاريخ الاوروبي الحديث وتاريخ الشرق الادنى الحديث •

مؤلفاته :

روسيا السوفييتية والشرق الاوسط (١٩١٧ - ١٩٣٩) بالانكليزية - لم ينشر •

انكلترا والحركة القومية في مصر (١٩١٨ - ١٩٢٤) بالانكليزية - لم ينشر •

بحوث عن العراق في عهد الايلخانين المغول نشر منها : الاحتلال المغولي للعراق ، الادارة الايلخانية في العراق ، أحوال العراق الاقتصادية في عهد الايلخانيين المغول • وقد ترجم النصف الاول من كتاب (القومية بين الاسطورة والواقع) تأليف بويد ك• شيفر • وسينشر قريبا •

ياسين عبدالكريم

من مواليد تلعفر ، درس في مدرسة تلعفر الاولى وفي ثانوية الموصل واحرز على شهادة ليسانس من مرتبة الشرف من دار المعلمين العالية في سنة ١٩٤١ واشتغل بالتدريس والتفتيش وفي ١٩٥١ التحق بجامعة منسونا في الولايات المتحدة واحرز على شهادة الماستر والدكتوراه في ١٩٥٦ وعين مدرسا في كلية الآداب . ثم أصبح أستاذا مساعدا .

وقد كان موضوع اطروحته للدكتوراه علاقات الجمهورية التركية الخارجية بين سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٢ .

ترجم الجزء الثالث من كتاب ر.ر. بالمر « تاريخ العالم الحديث » وله ابحاث باللغة الانكليزية حول الاستعمار الانكليزي في برما ، والاستعمار الامريكي في فلبية ، وابحاث اخرى عن التاريخ الاوربي والاقتصادي .

ويجيد عدة لغات منها الانكليزية والتركية وله معرفة بالالمانية والكردية .

الكتاب

مجلة شهرية ثقافية

مجلة جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين تحت الاعداد والتحضير
يساهم فيها النخبة الطيبة من المثقفين والادباء والكتاب •
فيها بحوث مختارة وابواب جديدة

خير الشعر واعذبه

أروع القصص وأجملها

مختارات من التراث العربي والاسلامي

أدب انساني يهز القلوب والافئدة والمشاعر

انها مجلة المثقف التي لا يستغني عنها الناس •

منشورات جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين

يشرف على اخراجها وطبعها ـ الدكتور يوسف عزالدين

الكتاب الاول :

المذهب الاخلاقي في الكريم الكريم

الدكتور صالح هادي الشماع

الكتاب الثـاني :

الاقتصاد الزراعي ومشكلاته

الدكتور ضياء احمد

الدكتور عبدالصاحب علوان

الاستاذ عبدالمجيد حسيب القيسى

الاستاذ عبدالرزاق الهلالي

الكتاب الثالث :

مشكلات التعليم الثانوي

الدكتور نوري الحافظ

الاستاذ حسن الدجيلي

الدكتور مسارع الراوي

الكتاب الرابع :

(الجريمـــــة)

الاستاذ شاكر محمو العاني

الاستاذ فريد فتيـــان

الاستاذ نور الدين الواعظ

الكتاب الخامس :

تفســـير التاريخ

محتويات الكتاب

٣	التاريخ والعصر الحاضر	الدكتور عبدالعزيز الدوري
١٧	تفسير التاريخ	الدكتور صالح احمد العلي
٣٣	التفسير الماركسي	الدكتور جعفر خصباك

. . . رسالة الفكر الواسع الواعي ، يحملها كل مفكر وأديب يعرف مكانه في المجتمع العربي ويعرف دور أمته في ركب البشرية .

ومهمة الاديب والكاتب والمفكر أن يعيش واقعه ، وأن يعي المرحلة التي تمر بها أمته ، وهو يعمل بعدئذ على الاخذ بيدها الى المستقبل الذي تنشده .

... وأن يحس بأهمية تبصير أمته بواقعها ويعمل على تحليل مشكلاتها وأمورها لتفهم نفسها فهماً واعياً . . . ويرسم لها طريق تطورها الذي يصل خطوط ماضيها بحاضرها ويشير الى مستقبلها . . .

والاديب والمفكر والكاتب يدرك أن أولى مراحل النهضة فهم الذات . . والايمان بشخصية الامة . . وأول مدارج التحرر أن تنزه ذاتك وكيانك الثقافي عن التبعية والتقليد ومن عرف نفسه استطاع أن يسير واعياً . . . وأن يتجنب العصبية الضيقة والتبعية . ومن هنا كانت العناية بالتراث وبالاصول جزءا حيويا من رسالة المفكر ... وطبيعي أن تتصف رسالة المفكر والاديب في أمتنا بالسعة في الافق وبهذا الاستقلال الفكري . . . ولذا فأنها تسعى لتعريف النشء بتيارات الفكر الحية وتضع أمامهم ماتستطيع من روائع الفكر والثقافة .

ومكان المفكر والاديب في طليعة الركب ودعوة بعضهم الى أن يواكب الادب والفكر ، التوثب الثوري انما هي انتقاص لدوره وتخلف لارتضيه لنفسه ، فالادب ونتاج الفكر يخلقان الثورة ولن تكون ثورة حقيقة شاملة اذا لم تبدأ في العقول والنفوس .

الدكتور عبد العزيز الدوري

طبع الغلاف في مطبعة العامل ـ بغداد

DATE DUE

DEMCO 38-297

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

NYU - BOBST
31142 02820 9594
D16.8 .D87
Tafsir al-tarikh